روحانية
الزواج المسيحي

- اسم المؤلف: الاب د. سالم ساكا
- اسم الكتاب: روحانية الزواج المسيحي
- تنضيد: (س. س)
- التصميم والاخراج : كوثر نجيب
- تصميم الغلاف:
- الناشر: مكتب الاستاذ "سركيس اغاجان".
- الطبعة الاولى: 2007
- عدد النسخ: 1000
- رقم الايداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون/ اربيل (305)، لسنة 2007.

روحانية الزواج المسيحي

الاب د: سالم ساكا

2007

شكر وتقدير

اقدم جزيل شكري الى الاستاذ "سركيس اغاجان" لتحملـــه نفقـــات طبـــع كتابي المعنون "روحانية الزواج المسيحي".

المؤلف

المقدمة

إذ يبدأ الزواج بلقاء، فإنَّ اللقاء يعقبه تَوَدُّد الشـــاب بالشـــابة، والشـــابة بالشاب. وهذان إنْ لَمْ يكن المسيح في قلبيهما وقت التَوَدُّد فلا يمكن أن يبقـــى في عائلتهما، بيتهما بعد الزواج.

وفترة الخطوبة لازمة وضرورية كمُقدِّمةٍ للزواج. ومـــتى كـــانت هـــذه الفترة طاهرة كانت الحياة الزوجية طاهرة ومضـــمونة البقـــاء. وإذا عـــرف الشاب والشابة أن يُصلِّيا معاً في هذه الفترة أمكن أن يعيشا معاً بعد الـــزواج بلا فراق وإنفصال إلى نهاية الحياة.

إنَّ الزواج مُقدَّس. والربُّ يسوع المسيح وحده هـــو الـــذي يُقدِّســـه. إنَّ فخامة مبنى الكنيسة، وجمال تنظيم حفلة مراسيم الزواج وروعـــة الزهـــور والموسيقى، هذه كلُّها لا تجعل الزواج مسيحياً بدون المسيح. وإن لـــم يَتَّحـــد الزوجان في المسيح، أو يكون المسيح الشخص الثالث بينهما، فإنَّ زواجهمـــا لا يمكن أن يُدعى زواجاً مسيحياً. وإن لم تَتوفَّر المحبَّة بينهما، فلا يُمكـــن أن يَتمتَّعا بحياة زوجية سعيدة. ولكي تتوفر المحبَّة بينهمـــا، ينبغـــي أن تتـــوفر المحبَّة للمسيح في قلب كلٍّ من شريكي الحياة.

عندما يُحبُّ الزوجان أحدهما الآخر محبَّة مسيحية خالصة، فإنَّ محبَّتهما للمسيح تكون هي الرابط الذي يربط قلبيهما. وعندما يُحبُّ الزوجان المســـيح فإنَّ تفكير الواحد بالآخر، وتعبيراتهما العملية من الواحد للآخر، وتصرفاتهما المتبادلة، تنبعث من الربِّ يسوع المسيح الذي يُحبّانه، ويريدان أن يرضياه.

إن كان كلٌّ من الزوجين قد سلَّم نفسه للمسيح، فإنَّ محبَّتهما المشـــتركة للمسيح تصبح شريعة محبَّة الواحد للآخر. ليس الطريـــق للحيـــاة الزوجيـــة السعيدة هو غضُّ النظر عن الشريعة، ولا هو فقط طاعة الشريعة، لكنَّه هـــو فقط تسليم الحياة كلِّها للمسيح. ومعنى الاشتراك مع المسيح في صـــليبه هـــو الموت عن الخطية.

فإن كان المسيح في قلبِكَ (كِ) يكون في بيتِكَ (كِ). والحياةُ الزوجيـــة أو العائلية يمكن أن تستغني عن أشياء كثيرة، لكنَّها لا يجب أن تستغني أبداً عن المسيح ومحبَّتِه.

الأب سالم ساكا
كنيسة مار توما الرسول
بغداد 5/12/2006

المسحة الإلهية في الزواج المسيحي

ميزة الزواج المسيحي:

يختلف الزواج المسيحى حقاً عن أيِّ نمط آخر من أنماط الزواج السائدة فى المجتمعات البشرية، فهو ليس عقداً إجتماعياً مدنياً، بل هو شركة فـــوق العادة، هو عهد حبٍّ وحياة كلها. فيه حلول للروح القدس علـــى العروســَيْن المؤمنَيْن كقوة إضافية تساندهما، وتوَحِّدهما فى كيان مسيحي فائق الوصف، بقدر ما يكون كلٌّ منهما مُتَّجهاً نحو الله، طالباً وجهه، وناظراً وجه شـــريكه بطهارة، ونيَّة صافية، وقلب بسيط.

والزواج المسيحي هو رابطة ثلاثية، فالمسيح هو الذي يربـــط الزوجـــة والزوجة ويوحِّدهما. أمّا الزواج الإجتماعي المدني هو رابطة ثنائيـــة فقـــط، بحيث لا تتعدّى العلاقة الإنسانية- الإجتماعية بين الزوج والزوجة.

الزواج المسيحي في الواقع هو إرتباط ثلاثي بين شاب مـــؤمن وشـــابة مؤمنة يجمع بينهما المسيح، بفعل الروح القدس ''فالذي جمعه الله لا يُفرِّقـــه إنسان'' (متى 19/6). والذى يقوم فعلاً بصنع هذه الرابطة هو الروح القدس بسرٍّ عجيب، ولذلك يرتفع الإرتباط بين الزوجين إلى درجة إتِّحاد الســـرّ، فلا ينفصل الزوجان، أعني لا طلاق بينهما، لأنَّ ما جمعه الله لا يُفرِّقه إنســـان، وهذا الإتِّحاد مُؤسَّس على صخرة قويَّة هى الربّ يسوع، فلا يتزعزع مـــادام الزوجان يسلكان بالإخلاص والأمانة والطاعة لله.

في الزواج المسيحي، أو في حياة العائلة المسيحية، تنفتـــح إذن الحيـــاة الإنسانية على الحياة الإلهية، من خلال تواجد المسيح فيهما، ويكون للحيـــاة

الزوجية مذاق خاصّ يختلف بالتأكيد عن أيٍّ حياة زوجية أخرى ليس فيها المسيح، وليس فيها خضوع الزوجين لإرشاد الروح القدس، وإكتسبا كلاهما أخلاقاً خاصّة من قبله.

الزواج المسيحي عودة إلى الزواج الأصيل:

أنَّ الزواج المسيحي فى الواقع هو تجديد لزواج آدم وحواء الذي فشل بالسقوط (تكوين 3/12)، ومن خلال الزواج المسيحي يُحقِّق الله ما أراده منذ البدء، يوم خلق الإنسان ذكراً وأنثى وباركهما، يُحقِّق ما لم يمكن تحقيقه من خلال الزواج الأول الذي ضاع بهاؤه بالسقوط.

في الزواج المسيحي يعود الإرتباط نقياً بين الرجل والمرأة، بعد أن إفتدى الربُّ يسوع الجنس أيضاً وقدَّسه، ليصير ''كل شئ طاهراً للطاهرين'' (تيطس 1/15). لم يثبت آدم وحواء فى الحبِّ والطاعة لله، لذلك سقطا وحرما من البركات الإلهية التى كانت مُعَدَّة لهما.. ولكن ما فشل آدم وحواء فى تحقيقه، يمكن للزوجين المسيحيين أن يُحقِّقاه بقوَّة الروح القدس المُعطى لهما... فالزواج المسيحي طريق أمانة وإخلاص للربِّ، وهو سعي مشترك فى حياة القداسة، وهو قلبان إتَّفقا على بلوغ الملكوت الأبدي.

في الزواج المسيحي إذن يعود الله ويَتطلَّع من جديد، بعد آلاف السنين، فيرى ''الإنسان الجديد''، أي الزوجين المسيحيين اللّذين قبلا المسيح وإتَّحدا به، وتَجدَّدا بفعل الروح القدس... يرى الله العروسين ''إنساناً جديداً'' مخلوقاً على صورة الله، ومُتَّحداً من رجل وإمرأة، تماماً مثلما خلقه منذ البدء، وينظر فإذا ''الإنسان'' حسن جداً مرة أخرى (تكوين 1/31).

بعد كلُّ هذه النعم التى سكبها المسيح على العروسين، وبعد هذا التقديس لكيانهما من خلال سرِّ الزواج، هل يبخل الزوجان على المسيح بحياتهما؟ ألا ينبغى أن يبقى قلباهما مُتَّجهَين لله، ونفساهما ملتصقتين به؟ ألا ينبغى أن يظلَّ المسيح هو مركز إهتمامهما اليومي، وتظلُّ حياتهما المشتركة شاهدةً له فى مختلف ظروف الحياة؟

مادام سرُّ الزواج يؤدّي بالزوجين إلى حالة روحية يَتَّحدان فيها معاً ومع المسيح، فالزواج إذن ليس لهواً، ولا مُجرَّد صورة من الصور الاجتماعية، بل كياناً روحياً إلهياً إنسانياً، فيه يتجلَّى الله فى العالم من خلال أسرة تشهد له فى دنيا قد ضلَّت طريق الحقّ والعدل، وإنطفأ فيها نور الإيمان، وطغت فيها المادية على الفكر والسلوك والحياة. لذلك فإنَّ سرَّ الزواج يُحتِّم على الزوجين مسئوليتين أساسيتين:

الأولى: أن يمتدَّ الزوجان بالحالة الروحية التى إكتسباها بحلول الروح القدس عليهما فى سرِّ الزواج، وأن ينموا معاً إلى تحقيق الصورة النقيَّة الأولى التى رسمها الله للزوجين الأولين (آدم وحواء) منذ البدء، والتى لم يُحافظا عليها، وهى صورة الحبِّ الحقيقي والإتِّحاد الكياني (الجسد الواحد)، وعلى الزوجين أن يُحقِّقا بمعونة الله هذه الصورة تدريجياً عبر الزمان.

والثانية: أن يشهد الزوجان لله أمام العالم كلِّه، ويكشفا نور المسيح لكلِّ مَن يتعاملا معه خارج إطار الأسرة، فالزواج يعني تأسيس كنيسة صغيرة حيَّة شاهدة لله بحياتها وسلوكها. فمن الخطأ إذن أن توقد الأسرة سراجاً وتضعه تحت المكيال لكى يضئ لها وحدها (متى 5/15).

هنا نلاحظ أنَّ ''المسؤولية الأولى'' تعنى النموّ فى القداسة، والإرتفاع بالبناء الروحي الداخلي للأسرة، فقد كان مطلوباً من آدم وحواء النموّ فى

الحبِّ لله، والإتِّحاد معه إلى أن يَتحقَّق الإتِّحاد الكامل مع الله فـــى الملكـــوت السماوي، وجاء السقوط مُعطِّلاً خُطَّة الله، ثم جاء سرُّ الـــزواج كـــي يُحقِّـــق الزوجان من خلاله إرادة الله بالطاعة والتسليم والخضوع الكامل لـــه، ســـعياً نحو ملكوت أضاعته الكبرياء والأنانية والعناد.

أمّا ''المسؤولية الثانية'' فتعني ترجمة الحياة الروحية الداخلية للزوجين والتعبير عنها سلوكياً، فالحبُّ الزوجي لا يكون حبّاً حقيقياً، ما لم يخرج مـــن دائرة الأسرة الضَيِّقة منفتحاً على العالم شاهداً للمسيح، وحفظ وصية المسيح لا يَتَّضح صدقه إلاّ بالإحتكاك بالعالم والتعامل معه.

هكذا نجد كيف يكون سرُّ الزواج مجالاً لنموّ القداسة وإزدهارها، ومجالاً لإختبار الإيمان العملي والسلوك المسيحي والشهادة لله أمام العالم في العالم.

حضور مكثَّف للثالوث الأقدس في سرِّ الزواج:

إذا تأمّلنا صلوات طقس الإكليل حسب طقس كنيستنا المشرقية، لوجـــدنا تعبيرات رائعة تكشف عن الجانب اللاهوتي فى سرِّ الزواج، إذ يقول الكاهن صلاته على الأكاليل: ''الله الذي كلَّل السماء بالنجوم، والأرض بالأزهـــار، يُكلِّلكما بهذه الأكاليل الزمنية، ويؤهِّلكما للأكاليل الأبدية، ويحفـــظ حياتكمـــا ويملؤها نعماً وسلاماً وفرحاً، فتؤدِّيان له المجد إلى الأبد'' (ويرسم علامـــة الصليب على الأكاليل= التيجان). وأثناء وضع الأكاليل على العروسين يقول الكاهن: "ليُضفر هذا الإكليل للختن (فلان، فلانة) للفرح والمسرَّة بإســـم الآب والإبن والروح القدس إلى الأبد". آمين.

هنا نجد أنَّ الكنيسة تريد أن تؤكِّد للعروسين حقيقة لاهوتية هامَّة وهـــي أنَّ حفل زفافهما ليس ككلِّ حفلات الزواج العالمية، إنَّما هو حضـــور إلهـــي

كثيف، فيه تتكوَّن عائلة جديدة داخل حضن الله، يتجلَّى فيها الحبُّ والإتِّحـــاد، اللّذان يصبحان ظلاً ولو أنَّه باهت للحبِّ والإتِّحاد بين أقانيم الثالوث، لتصير العائلة أيقونة إلهية. فى الصلاة السابقة نلاحظ أنَّ الثالوث يشارك فى تكـــوين العائلة:

- الله الآب:

يعطي بحضوره المجد والكرامة للعروسين، فيكتسب زواجهما حالة بهاء خاصّ، يفتح عيونهما على حقيقة أنَّ هناك مجداً أبدياً مُعَدّاً للعروسين إذا سلكا فى طريق النقاوة، وجاهدا الجهاد الروحي، وحفظا وصايا الربِّ بأمانة، عندئذٍ يُتوَجان بالإكليل السماوي.

- الله الإبن الكلمة الأزلي:

هو الوسيط الذى يربط البشر بالله (1 يوحنا 2/1)، لأنَّه قد تَجسَّد وصعد بطبيعتنا البشرية جالساً بها إلى الآن عن يمين العظمة. لذلك فإنَّه مـــن خلال الإبن الكلمة تنفتح الحياة الزوجية على الحياة الإلهية، شأنها فى ذلـــك شـــأن باقي جوانب حياتنا، لأنَّ الإبن الواحد مع الآب فى الجوهر والشريك له، قـــد صار مُتَّحداً بنا وشريكاً لنا ونحن شركاء له بالنعمة. فالزوجان قـــد صـــارا بحضور الإبن وبركته شريكين له فى حياته منذ الآن، ولكن عليهما ألاّ يتوقَّفا عن التطلُّع المستمر نحو المسيح، والإتِّحاد الدائم به (بالصلاة والإفخارستيا)، والخضوع المستمرّ لصوته.

- أمّا الروح القدس:

فهو الذى ينسكب على العروسين، ويصنع الرابطة الثلاثية بين الزوجين مع المسيح، والروح هو الذى ينعش حياة الزوجين، ويُحرِّك قلبهما نحو الله، وينمو بهما فى القداسة والنعمة والحكمة.

الخلاصة... أنَّ الكنيسة في سرِّ الزواج تؤكِّد وتُثبِّت فى ذهن العروسين معنى هامّاً، هو أنَّ الثالوث القدوس يشترك فى تقديسهما لكي يكونا جسداً واحداً بكلِّ طهارة ونقاوة، وتُنبِّه العروسين إلى إنَّهما قد إكتسبا من قبل الثالوث حالة مجد وكرامة وطهارة فائقة، ولذلك ينبغي أن يحرصا على تألُّق ذلك المجد، ويحافظا على إستمرار تلك الطهارة... وبهذا المعنى يقول القديس ثيؤفيلوس الأنطاكي (القرن/4م) عن كون الزواج رباطاً إلهياً إنسانياً: ''لقد خلق الله الرجل والمرأة معاً ليتحقَّق الحبُّ الأكبر بينهما، وبذلك يعكسان (يظهران) سرَّ الوحدة الإلهية. وهكذا نجد الزوجين المؤمنين يعيشان يوماً فيوماً تحت ظلِّ الآب والابن، ويستمتعان بتقديس الروح القدس لهما''.

الحبُّ

دعوة ورسالة

الحبُّ الحقيقي:

في حياتنا هناك ما هو حقيقي، وما هو مُزيَّف، هنـــاك حريّـــة حقيقيـــة وأخرى مُزيَّفة، وكذلك حبٌّ حقيقي وآخر مُزيَّف. لا شكّ أنكم تـــودّون هنـــا لتقرؤا عن ما هو الحبّ الحقيقي. وحتى نُميِّز الحبَّ الحقيقـــي عـــن الحـــبِّ الكاذب، ونُعطي له خصائصه وصفاته، علينا منذ البداية أن ننتبه إلى أربعـــة أمور أساسية وهي:

1- الحبُّ الحقيقي لا يكون إلاّ بين أشخاص، فأنا أحبُّ الله، أحـــبُّ زوجي، أحبُّ أولادي، أصدقائي، القريب. إنَّ موضوع حبّي هو شخص، فإن قلتُ إنّي أحبّ الموسيقى أو المطالعة، فلا أعني ما أعنيه عندما أقول أحـــبّ زوجي. في اللغة الإنكليزية نُميِّز بوضوح هذه المسألة، إذ نســـتخدم فعليـــن للحبِّ مختلفين (like) للأشـــياء، و (love) للأشـــخاص. عنـــدما نُحـــبّ الأشخاص كما نحبّ الأشياء، يصبح حبُّنا لهم مُزيَّفاً، يصبح حبّاً إســـتهلاكياً، فيه أُغيِّب الآخر كما أُغيِّب التفاحة عندما أقضمها.

2- في الحبِّ الحقيقي، مركز الحبِّ هو الآخر لا الأنا؛ إنَّه حبٌّ يستهدف الآخر، حبٌّ من أجل الآخر، الآخر فيه هو الغاية لا الأنا. أنا أختفي ليظهـــر الآخر، أنا أَصغر، ليكبر الآخر، مثاله محبَّة يوحنا المعمذان للمسيح ''لـــه أن ينمو ولي أن أصغر'' (يوحنا 3/30).

3- الحبُّ الحقيقي عطاءٌ وقبول. الحبُّ يعطي، منطقه منطق العطاء لا الأخذ، في كلِّ مرة يعطي يزداد، يكبر ويثرى. مَثَله مَثَل الحفرة التي كلَّما أعطت منها كبُرَت. والحبُّ قبول، إذا أُعطي يقبل أن يأخذ، لأنَّه يشعر بافتقاره لا بامتلائه، بهذا المعنى يفترض الحبُّ التواضع، عندما أقبل أن آخذ، فهذا يعني أنَّني مفتقر إلى الآخر الذي يُكمِّلني، فالآخر لا يُلغيني عندما يعطيني، إنَّما يُكمِّلني، يغنيني.

4- الحبُّ الحقيقي إرتباط. حبٌّ يبدأ ليستمر. من مَيِّزاته الديمومة. الحبّ الحقيقي هو علاقة تتوَثَّق عُراها يوماً بعد يوم، بحيث تجعل المصير واحداً وفي كلِّ الأحوال والظروف. ما معنى كلّ ذلك. لنشرح الآن هذه الأمور الأربعة بشيء من التفصيل.

أولاً: الشخص هو موضوع الحبِّ الحقيقي

كي لا نتحرَّك في عالم المُجرَّدات علينا أن ننطلق من إختباراتنا. في كثير من الأحيان إن لم يكن في أغلبها، نُحبُّ الله كما يُحبُّ الطفل الرضيع أمَّه، إنَّها بالنسبة إليه، مُجرَّد ثدي يرضعه ويروي له غرائزه. وأحياناً نحبُّ الله كما نحبُّ مصرفاً لنا فيه رصيد، نلجأ إليه ساعة نريد لسدِّ حاجاتنا المختلفة. نحن هنا في الحقيقة، لا نحبُّ الله في ذاته ولذاته، إنَّما نحبُّ ما يُقدِّمه لنا ممّا نرغب ونحتاج، فالعلاقة والحال هذه، ليست بيني وبين شخص الله، إنَّما بيني وبين أشياء يُقدِّمها لي الله، فإذا ما عاد هذا الله، كما يبدو لي، يُقدِّم ما أطلبه منه، بَطُل حبّي له وانقطع، وزعلت منه، قاطعته، مسحتُ اسمه من الوجود، والعودة إلى إختباراتنا يثبت ذلك.

لنستعِر مثالاً آخر: الحبُّ بين زوجين، كثيراً ما يتعرَّض هذا الحبّ لتجربة ''حبُّ الشيء''. كثيراً ما يحبُّ الرجل لا زوجته بالذات، لا

شخصها، إنَّما جسدها بما فيه من خصائص جمالية، فتغدو العلاقة بينها وبينه علاقة شخص بجسد، بل ربَّما علاقة جسد بجسد. بحيث يصبح الفعل الزوجي لقاء جسدين ليس إلاّ، فيغيب عندها الحبّ الحقيقي ليظهر مكانه حبّ الإستهلاك، حبُّ العاطفة دون الروح والعقل.

ثانيًا: الآخر هو المركز في الحبِّ الحقيقي

مركزية الأنا هي تجربة الحبِّ الكبرى، أحياناً، إن لم يكن في معظم الأحيان، نحبُّ أنفسنا، ذواتنا دون وعي منّا، لنضرب بعض الأمثلة من واقع الحياة: محبَّة الوالدين لأولادهم. كثيراً ما نُربّي أولادنا لا من أجلهم هم إنَّما من أجلنا نحن، نريد لهم أن يُفكِّروا مثلنا، يَتبنّوا مواقفنا، يتسيّسوا بسياستنا، يدرسوا ويتخصَّصوا ما كنّا نحن نحلم بدراسته والتَخصُّص به. هكذا نُحوِّلهم إلى مُجرَّد وسائل، أدوات، أشياء لتحقيق رغباتنا وتطلّعاتنا، إنَّنا نُحبُّ فيهم ذواتنا، حبُّ نرجسي، عشق للذات، حيث تصبح الذات هي مركز هذا الحبّ. هذا ما يحدث أيضاً في الحبِّ الزوجي. كثيراً ما يكون الحبُّ هنا نوعاً من عشق الذات، حيث يصبح الآخر مُجرَّد مرآة أرى فيها صورة ذاتي، في ظنيّ أنَّني أحبُّه، ولكن في واقع الحال أحبُّ ذاتي فيه، أُحقِّق صورتي فيه، ففي كلِّ مرة يريد فيها الرجل زوجته لا من أجلها أيضاً، بل من أجله هو فقط، لا من أجل إسعادها، إنَّما من أجل رغبته هو فقط، يقع حبُّه في مركزية الأنا، فيبقى سجين ذاته ويغيب الحبُّ الحقيقي.

الحبُّ إفتقار للآخر، في إختبارنا الإنساني، نرى أنَّ الحبَّ لا يكون من دون ''فَقْر''. حين ينظر رجل إلى إمرأة بنظرة حبٍّ ليس فيها إلاّ حبّ، ماذا يمكنه أن يقول لها؟ ما هي الجملة التي يمكن أن يلفظها للتعبير عن نظرة

الحبِّ هذه؟ لا نرى إلاّ جملة واحدة: ''أنتِ لي كلُّ شيء، أنتِ فرحي كلُّه ''. أن تقول أنا أُحبُّ، يعني القول ''أنا فقير''. فإن كنتِ أنتِ كلُّ شيء، فلستُ أنا بشيء، خارجاً عنكِ أنا فقير، ليست ثروتي فيّ بل فيكِ، ثروتي هي أنتِ، وأمّا أنا فإني فقير، بكلمة واحدة أنتِ ''مركزي''. تُرى ألا نقول الشيء ذاته عندما نُحبُّ الله، عندما نناجيه ونُعبِّر له عن حبِّنا؟

ثالثاً: الحبُّ الحقيقي عطاء وقبول

مَن يُحبُّ يُعطي، يُقدِّم، يبذل، ومَن يُحبّ يأخذ، يَتلقَّى، يستقبل. قلّبوا الأشياء كما تريدون، فالحبُّ عطاء وقبول. لننطلق من ''القبلة''، القبلة رمز جميل جداً يشير إلى الحبِّ، إنَّها تدلُّ على العطاء والقبول في آنٍ واحد، لا تُعطى القبلة حقاً إن لم تُقبَل، إلاّ إذا كانت مزيّفة. شفاه الرخام والتمثال لا تقبل القبلة. إذ لا بدّ من شفاه حيّة. إنَّ الشفاه الحيّة هي شفاه تقبل وتعطي في آنٍ واحد، القبلة حركة رائعة ولذلك لا يجوز الحطّ من قدْرها واللّعب بها. بل يجب الاحتفاظ بها علامة لشيءٍ عميق جداً .

الحبُّ هو الحياة في سبيل الآخر (العطاء (والحياة بالآخر (القبول). الحبُّ هو الكفُّ عن الحياة في النفس وبالنفس وفي سبيل النفس. لقد قيل في الحبِّ الشيء الكثير، ولكن ما لا يقبل الجدل هو أنَّ الحبَّ نكران للذات، الكثير من الناس يستعملون هذه الكلمة، ويَدَّعون إعتناق حقيقتها، ولكن المقياس يكمن دائماً في الإجابة عن هذا السؤال: هل يُمكننا في الحقيقة أن ننسى ذواتنا؟ أمور عديدة تُطلق عليها لفظة ''حبّ''، ولكن غالباً ما يكون في الكلام زور. الميزان الذي لا يخطئ في قياس الحبِّ هو النسيان (نكران) الذات في سبيل الآخر. إنَّ الشاب الذي يَدَّعي حبَّ فتاة، قد يوهم نفسه بأنَّ

الاستجابة لنزواته الخاصّة هي التي تُكوِّن جوهر ذلك الحبّ، والفتاة التي تملأ فراغ وحدتها برفقة شاب وإهتمامه، قد تظنَّ أنَّ هذا الشعور المُريح هو الحبّ. وكذلك الأب والأم اللّذان يدفعان بأولادهما إلى ما هو، في ظنِّهما، طريق النجاح قد يحسبان ذلك حبّاً...

السؤال الأساسي يبقى دائماً يدور حول نسيان الذات، أتُرى ذاك الشاب، أو تلك الفتاة، أو كلّ من الوالدين بدوره ينسى ما ينفعه هو، كي يبحث فقط عن سعادة المحبوب ونموِّه الشخصي؟ تلك ليست أسئلة نظرية. فواقع الحال إنَّنا في غالبيَّتنا، نجد من الصعب جداً، ونحن نغرق في حاجياتنا الخاصّة، أن ندع حبَّة الحنطة تقع في الأرض وتموت، قبل أن تستحقَّ الحياة والحبّ.

رابعًا: الحبُّ إرتباط بالآخر

لنحاول أيضاً أن نتصوَّر نظرة حبّ إمرأة إلى زوجها لا يكون فيها إلاّ حبّ. هل تستطيع هذه المرأة أن تقول لزوجها: أحبُّك ولكن إن دعاك وضعك إلى بلدٍ بعيد، سأبقى أنا هنا؟ وبعبارة أخرى، في الوقت الذي أُعبِّر فيه عن حبّي، أؤكِّد لك إستقلالي عنك! من الواضح أنَّ مثل هذا الموقف مستحيل، بل وغير مقبول. فمَن أحبَّ أراد الارتباط. أحبُّك فأتبعك إلى أقصى العالم، أريد أن أكون مرتبطة بك. من هنا نفهم ضرورة الزواج للمُحبّين، الزواج كسرٍّ يُحقِّق هذا الارتباط ويُحافظ عليه ويجعله مُستمراً إلى الأبد، إنَّه إرتباط في المحبَّة.

في كلِّ جماعة بشرية، نجد هذه الجملة الضمنية ''أريد أن أرتبط بك''. لنتساءل: لماذا كثُر في الوقت الحاضر عدد الجماعات التي تولد ولا تلبث أن تموت (زواجات تنتهي بطلاقات)؟. لأنَّها تخلو من ذلك التأكيد على الارتباط

المتبادل. هذا ينطبق على الإنسان عندما يحبُّ الله، فالذي يُحبُّ الله يرتبط به ويُعمِّق إرتباطه به. هذا هو معنى التديّن، إنَّ لفظة ديانة (Religion) مشتقة من الكلمة اللاتينية (Religare) ومعناها إرتبطَ ثانية. فإذا ما تَديَّن الإنسان، معناه رَبَط ذاته بالله. هذا الرباط هو الحبُّ عينه، فالحبُّ هو أساس الرباط بين الله والإنسان. وما يُسمَّى باللاّهوت الأدبي، بالخطيئة الأصلية ما هي إلاّ قطع هذا الرباط، أي رفض هذا الحبّ. حيث في الخطيئة يرفض الإنسان أن يرتبط بالله أصل وجوده، يرفض أن يعترف بالله كمصدر وغاية لهذا الوجود.

رُسُل الحبِّ:

لنعد إلى الحبِّ. قد يختلف الحبُّ في موضوعه: الزوج، الأولاد، الأب، الأم، القريب، الله... لكنَّه واحد في ماهيَّته: إنَّه نكران للذات في سبيل الآخر، وهو واحد في موضوعه: الإنسان، الشخص، وإن إختلفت هويَّة هذا الشخص، وهو واحد في هدفه: إسعاد الآخر وإكتماله أعني جعله ينمو ويكبر في كلِّ جوانب شخصيته.

في البدء كان الحبُّ، الله فعلُ حبٍّ مطلق، ليس عند الله محبَّة، بل الله هو محبَّة بالذات. إذا كان العطاء ومشاركة الآخر هما في صميم كيان الله، فالله إذاً محبة ''مَن لا يحبّ لم يعرف الله لأنَّ الله محبَّة'' (1يوحنا 4/8). الله الحبّ هو الذي خلقنا، لأنَّه حبّ خلقنا، الحبُّ خلاّق، خلقنا على صورته ومثاله، منحنا القدرة على الحبِّ، وكذلك القدرة على الخلق، لأنَّ المحبَّة بطبيعتها خلاّقة، فَدَعوَتُنا إذاً في هذه الحياة هي دعوة حبٍّ، إلى الحبِّ نحن مدعوون. عندما سأل أحد الفريسيين يسوع: ''ما هي الوصية الكبرى في الشريعة؟''، أجاب قائلاً: ''أن تُحبَّ الربَّ إلهك بكلِّ قلبك وكلِّ نفسك وكلِّ

ذهنك، تلك هي الوصية الكبرى والأولى. والثانية مثلها: أن تُحبَّ قريبك حبّك لنفسِكَ، بهاتين الوصيتين ترتبط الشريعة كلّها والأنبيـــاء'' (مـــتى 22/37-40).

دعوتنا واضحة وضوح الشمس الساطعة، الله يدعونا إلى أن نحبَّ. إليكم ما يقوله يوحنا الحبيب: ''أيُّها الأحبّاء، فليُحبَّ بعضنا بعضاً. إذا كان الله قـد أحبَّنا هذا الحبَّ، فعلينا نحن أن نُحبَّ بعضنا بعضاً'' (1يوحنا 4/7-11).

إذا كان الحبُّ دعوتنا، فهو إذاً رسالتنا في هذه الحياة، الحبُّ المســـيحي هو إستجابة لحبِّ الله الذي لا يعرف الحدود، إستجابة تنبع عن وعي عميـــق لكون الله قد أحبَّنا أولاً. وحتى أنَّه أرسل إبنه الوحيد ليكون لنا به الخلاص.

سؤال في غاية الأهمية على كلِّ منّا أن يطرحه على نفسه كلّ يومٍ: لماذا خُلِقتُ أنا، ولأجل أي غاية أعيش؟ لا يمكن أن يكون لحياتي معنى مـــا لـــم أكتشف هذه الحقيقة: الحبُّ خلقني، إلى الحبِّ أنا مدعو، من أجل الحبِّ أنـــا أعيش، بالحبِّ وحده أخلص. ميزة الإنسان المسيحي أن يحـــبَّ، ''إذا أحـــبَّ بعضكم بعضاً عرف الناس جميعاً أنَّكم تلاميذي'' (يوحنا 13/35)؛ وصيتي هي: ''أحبّوا بعضكم بعضاً كما أنا أحببتكم'' (يوحنا 15/12).

الموقف الوحيد الذي يليق بالإنسان هو موقف المسيح، المسيح يُفكِّر دوماً بالآخرين، وقد بذل في سبيلهم حتى آخر قطرة من دمه. ألَم يَقُل هو: ''ما من حبٍّ أعظم من حُبِّ مَن يبذل نفسه في سبيل أحبّائه'' (يوحنا 15/13). هـــذا ما يفرضه الحبُّ علينا، أن نبذل حياتنا في سبيل الآخرين. ولن نُحقِّق ذواتنـــا ونعيش سعادتنا الحقَّة إلاّ في مثل هذا الحبِّ. إذا فشلنا في تحقيق رسالة الحبِّ هذه كان من حقِّ نيتشه الفيلسوف أن يتساءل: إذا كان المسيحيون يريدوننا أن نؤمن بمخلِّصهم، فَلِمَ لا تظهر علامات الخلاص في حياتهم بشكلٍ أوضح؟

نختم حديثنا بقصة تُروى عن القديس يوحنا الإنجيلي، تقول: إنَّه في آخر حياته الطويلة كان يمضي ساعات عديدة مع الشبّان من تلاميذه. وذات يـــوم قال أحد تلاميذه مُتذمِّراً: يا يوحنا، أنت دائماً تتكلَّم عن الحبِّ، عن حبِّ اللهـــ لنا، وعن حبِّ بعضنا لبعض، لماذا لا تُكلِّمنا عن شيءٍ آخر غيـــر الحـــبّ ؟ فأجاب ذلك التلميذ (يوحنا) الذي إنحنى يوماً، وهو شاب على صـــدر الإلـــه المُتَجسِّد: لأنَّه لا وجود لشيءٍ آخر سوى الحبّ... الحبّ... الحبّ. فـــالحبُّ هو السبيل الوحيد للدخول إلى ذواتنا. والذي يعطي معنى لحياتنا. إنَّه الطريق الوحيد إلى حضن الله الذي دُعي إسمه ''الحبّ''.

فترة الخطوبة

مرحلة الخطوبة:

هي مرحلة إنتقالية بين العزوبية والزواج ويمكن وصفها على أنَّها:

1- فترة إنتقال ضرورية من حياة العزوبية، إذ كلّ من الطرفين كان يعيش حياته الشخصية بمفرده مع والديه وأصدقاءه إلى الحياة الزوجية، حيث سيتعهّد الطرفان بشكلٍ لا يقبل الرجوع عنه للعيش معاً في شركة حياة ووحدة كاملة.

2- مرحلة تحضير وتهيئة، فيها يَستعدّ الطرفان معاً للدخول في مرحلة جديدة من الحياة لم يسبق لهما أن عاشاها من قبل.

3- مرحلة بدء بناء الوحدة النفسية والروحية بين الطرفين. حيث يبدأ كلّ طرف في الانفتاح نحو الآخر بدون خجل لاكتشاف نقاط التوافق والاختلاف بينهما، وذلك للوصول إلى المشاركة الإيجابية في العواطف والأفكار وجوانب الحياة الأخرى.

4- مرحلة يمكن فيها التغلّب على سلبيات الزواج التقليدي المُرتَّب من الأهل. حيث تُعطى فرصة للخطيبين للانفتاح على بعضهما، وللتأكيد من أنّ الله جمعهما وهو يصادق على حبّهما ويباركه.

5- مرحلة يتأكّد فيها الطرفان من صدق دوافعهما ومن مشيئة الربِّ في خطوتهما هذه، حتى يستطيعان بكلّ إطمئنان أن يقولا ''من عند الربِّ خرج الأمر''.

يُشبِّه الكتاب المقدّس هذه المرحلة بفترة وجود الكنيسة على الأرض التي فيها تعدّ نفسها للقائها بالعرّيس الأبدي، للقاء مع المسيح في بيت الآب ''لأنّي خطبتكم لرجلٍ واحدٍ وهو المسيح، لأقدّمكم إليه عذراء طاهرة''(2كورنثس 11/2).

تحذيرات للخطيب والخطيبة:

1- ليست الخطوبة فترة إختبار. إذ يعتقد كلّ طرف بأن عليه أن يراقب، يمتحن تصرفات الطرف الآخر وسلوكه، وليعرف هل هو الشخص الملائم أم لا. أما كانت البداية تحت أنظار الله وبركته؟

2- الابتعاد عن فرضِ الأفكار الشخصية أو العائلية على الطرف الآخر وذلك من أجل للوصول إلى الرغبات والنزوات الشخصية.

3- رفض مبدأ التلاعب بالمشاعر أو الأحاسيس، أو إعطاء وعود صورية غير معتمدة على واقع فعليّ بغرض التأثّر على الطرف الآخر وزيادة تعلّقه بالطرف الآخر.

4- تجنّب أيّ نوع من الإثارة الجنسية، وعدم التساهل مع أيٍّ شئ يقود إلى هذا الاتّجاه من كلا الطرفين، ومعرفة أنّ هذه الفترة ليست فترة إشباع الاحتياجات الجسدية الغريزية. وبذلك نغلق الباب أمام أفكار من هذا النوع. إذ لا يجب أن تجد مكاناً بين الطرفين في فترة الخطوبة. لأنَّ من شأنها أن تُدمِّر هذه العلاقة، ولا تبنيها أبداً.

يكتب النبي هوشع كلاماً موجَّهاً من الله إلى شعبه إسرائيل يقول فيه ''أخطبُكِ لنفسي إلى الأبد، أخطبكِ لنفسي بالعدلِ والحقِّ والإحسان والمراحم، أخطبُكِ بكلّ أمانة، فتعرفين أنّي أنا الربّ'' (هوشع 2/21-22). ومن هذا

القول يستطيع الخطيبين أن يتعلَّما الدروس التالية:

1- أخطبُكِ لنفسي إلى الأبد:

طابع العلاقة بين الخطيبين في فترة الخطوبة يجب أن يصبّ للتهيئة والإعداد وليس الاختبار. فالقرار قد أُخذ وهو ثابت، والمرحلة هي مرحلة تلاقي حياتين، وإنفتاح روحي ونفسي بين شخصين، من أجل تجهيز بيت مشترك، والتعرّف على الأهل والأصدقاء وإعداد الترتيبات لحفلِ الزواج. ولذلك يجب الحذر من أيّ مؤثِّرات خارجية تأتي من أشخاص آخرين على أيّ طرف من الطرفين.

2- أخطبكِ لنفسي بالعدلِ والحقِّ والإحسان والمراحم:

إنّها فرصة للقاء المستمر والمتواصل بين الخطيبين، والتقارب في جميع مجالات الحياة، ودراسة المواضيع التي تتعلّق بالحياة الزوجية والعائلية. ففي هذه الفترة يَتعلَّم الواحد كيف يقبل الآخرعلى أساس الحقّ. كما يَتعلَّم الطرفان كيفية ممارسة العتاب بطريقة إنسانية. ومن جهة أخرى يتعلّم الواحد مبدأ الخدمة الصحيحة التي تصنع الآخر وتبنيه قبل نفسه. ويُقدِّم له الإحسان والمراحم بصورة مستمرة بدلاً من التَمركُز حول ذاته والتقوقع عليها.

3- أخطبكِ لنفسي بالأمانة:

في هذه الفترة يتعلّم الواحد كيف يكون أميناً ونزيهاً في تعامله مع الآخر. وذلك باحترام ما نَعِدَ به للآخر أو نقوله، والالتزام بالتقاليد الإجتماعية

ومعايير الحياة الأُسَرية والعائلية، ومحافظة كلّ طرف على الطرف الآخـــر وحمايته وصون كرامته، ولا سيما فيما يَتعلَّق بنـــداءات الجســـد والعلاقـــات الجنسية.

كما يتعلّم الطرفان حياة الشفافية والصـــدق فـــي التعامـــل المشـــترك، وممارسة المحبّة الصادقة التي تصبر وترفق. ممارسة المحبّة التي لا تعرف الحسد ولا التفاخر ولا الكبرياء، المحبّة التي لا تسيء التصرّف ولا تطلـــب منفعتها، ولا تحتدّ ولا تظنّ السوء. المحبّة التي لا تفرح بالظلم، بـــل تفـــرح بالحقّ. المحبّة التي تصفح عن كلّ شيء وتصدّق كلّ شـــيء، وترجـــو كـــلّ شيء، وتصبر على كلّ شيء (1كورنثس 13/4-7).

من كلّ هذا نرى أهمية فترة الخطوبة. لذلك تحديـــد طـــول مـــدّتها أو إستمراريتها، يجب أن يتوقف على إتمام الغرض منها وتحقيق غاياتها. فهي لا يجب أن تكون قصيرة جداً، فلا يمكن أن يَتحقق هدفها، ولا أن تمتدّ لسنين طويلة، إذ من المحتمل جداً أن تفقد الغرض منها، وقد يتسبّب ذلك في حدوث مشاكل يكون الطرفان في غنى عنها.

وهكذا لتحقيق الغرض من فترة الخطوبة علينا دائماَ التأمّل فى علاقـــة المسيح بالكنيسة. ففي وقتنا الحاضر نتأمّل كيف أنّه يهتمّ بها ليأتي الـــوقت الذي فيه يزفّها إلى نفسه عروسةً لا عيب فيها: ''أيّها الرجال، أحبّوا نساءكم مثلما أحبّ المسيح الكنيسة وضحّى بنفسه من أجلها. ليُقدّسها ويُطهِّرها بمـــاء الاغتسال وبالكلمة، حتى يزفّها إلى نفسه كنيسة مجيدة لا عيب فيها ولا دنس ولا ما أشبه ذلك، بل كنيسةً مُقدَّسة لا عيب فيها'' (آفسس 25/5-27).

وهنا يأتي سؤال هامّ وهو: إن كانت هذه أهمية الخطوبة ووضعها. فهل معنى ذلك أنّه من الخطأ فسخ الخطوبة وإنهاؤها؟ وما هو العمل إذا اكتشـــف

الخطيبان عدم توافقهما خاصّة فيما يَتعلّق بـــأمور الحيـــاة الأساســـية، وإنَّ العلاقة بينهما تزداد سواء يوماَ بعد يوم رغـــم كـــلِّ المحـــاولات لإصـــلاح الوضع؟

ردّنا البسيط هو أنّه يجب أن نعرف بأنّ الخطوبة لا تعني الزواج، ومـــا ينطبق على الزواج لا ينطبق على الخطوبة، خاصّة فيمـــا يتعلّـــق بمفهـــوم وطبيعة العلاقة بين الطرفين كما رسمها الله من البداية. أعنـــي لا يمكـــن أن نُحمّل الخطوبة بكلّ ما يعنيه الزواج. لـــذلك نســـتطيع أن نقـــول أنّ فســـخ الخطوبة، إذا إتّضح أنَّ الطرفين لا يمكن أن يتوافقا معاً، فهو يكـــون الحـــلّ الأفضل. لقد قيل (خطوبه فاشلة أفضل من زواج فاشل).

أهمّ أسباب فسخ الخطوبة:

يُفضَّل فسخ الخطوبة بعد التأكّد من ظهور أحدِ الموانع الشرعية التي لم تكن مُعلَنة سابقاً عن قصد أو غير قصد ومنها:

* وجود مرض جسدي مُزمِن قد يتسبَّب فى نتائج مؤلمة على العلاقـــة الجسدية والأولاد مستقبلاً.

* عدم تكامل القوى الجنسية ممّا يتسبّب فى عدم القدرة علـــى الوحـــدة الجسدية الكاملة التي تعيق شركة الحياة الزوجية الكاملة، الصحيحة.

* وجود مرض ذو طبيعة نفسية يؤدّي إلى عدم تحمّل واجبات الـــزواج الأساسية.

* وجود مشاكل عائلية أو علاقات غير صحيحة إجتماعياً أو قانونياً يمكن أن تؤثِّر سلباً على وضع الزوجين وتُعرِّضهم للمتاعب والمخاوف مستقبلاً.

* ظهور عدم توافق واضح بين الخطيبين، وعدم تمكّنهم من التأقلّم مع بعضهما البعض بالرغم من إعطاء الفرصة والوقت الكافيين.

* إفتقار أحد الطرفين إلى ما يكفي من إستعمال العقل.

* عدم وجود الرغبة في الزواج أصلاً من قبل أحد الطرفين (لا إكراه في الزواج).

وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال آخر وهو: لماذا حدث ذلك؟ ألم نتبع الخطوات الصحيحة فى الاختيار؟ لقد قضينا وقتاً طويلاً فى الصلاة والصوم، لقد أخذنا المشورة الكافية قبل قدومنا إلى هذه الخطوة، لماذا حدث هذا؟

نجيب على ذلك بما يلي:

1- لا ننسى بإنّنا بشر محدودي المعرفة، ونتعرَّض كثيراً للوقوع تحت تأثيرات فكرية وعاطفية من الداخل والخارج، بحيث تجعلنا نتصوَّر أنّ هذا هو إختبار الله لنا، ولا ننسى قول النبي إرميا: ''القلب أخدع الأشياء وأخبثها فمن يعرفه؟'' (17/9).

2- من مراحم الله العظيمة على أبناءه، وإهتمامه بسعادة حياتهم مُحققاً فيهم إرادته الصالحة المُرضية الكاملة، فإنّه يتدخّل فى الوقت المناسب لإنقاذهم من أيّ تصرّف قد يؤثّر تأثيراً سلبياً على حياتهم يصعب إصلاحه ''يُنعش نفسي، يَهديني إلى سُبل الحقّ من أجل إسمه'' (مزمور 23/3).

3- وهنا قد يقول قائل: إذا كان من الممكن فسخ الخطوبة ولا خطأ فى ذلك، فلماذا التأنّي الكثير فى الاختيار؟ نقول لكلّ من يُفكِّر بهذه الطريقة، لا تنسى الآثار السلبية التي تحدث نتيجة لذلك ومنها:

التأثير السلبيّ على الخطيبين:

1- حدوث متاعب نفسية تؤثِّر على حياتهما الشخصية، وبصفة خاصّة الفتاة نظراً لطبيعة تكوينها العاطفي ومكانتها في المجتمع.

2- قد تؤدّي المتاعب النفسية إلى أزمات روحية، وسيطرة الأفكار السلبية والشكوك فى مشيئة الله وخطّته فى حياة الخطيبين الشخصية .

3- زيادة الصعوبة والشكّ فى أخذ قرار إرتباط بخطوبة جديدة، وعمل مقارنات غير صحيحة قد تُعطّل وتعوق الاختيار الصحيح.

التأثير السلبيّ على العائلتين:

1- إنَّ فسخ الخطوبة يؤدّي لا محال إلى توتّرٍ في العلاقة بين العائلتين، وحدوث مشاكل بينهما ولو لفترة محدودة من الزمن.

2- قد يؤثِّر ذلك على الحياة الاجتماعية والروحية للعائلتين وتمتُّعهما بالشركة الصحيحة فى الوسط الاجتماعي الذي يعيشان فيه .

3- تحمّل خسائر مادية من قبل الطرفين لا يمكن تعويضها.

نصائح للخطيبين:

بعد أن عرفنا أشياء كثيرة عن الخطوبة وغايتها، وكيف يجب أن يعيش الخطيبان فترة الخطوبة، الفترة الانتقالية بين مرحلة العزوبية والزواج أودّ أن اختم حديثي عن فترة الخطوبة بالنصائح الآتية لكلّ مَن أراد أن يتقدّم للخطوبة أو لا زال يعيش فترة الخطوبة:

1- لا تتسرّع فى إتّخاذ قرار الخطوبة، بل إنتظر تأكيدات الربِّ المتوالية وما يرشده الروح فى روح الصلاة والصوم وَتذكَّر دائما حادثة زواج إسحق ورفقة (تكوين/24) حتى تستطيع أن تقول وأنت واثق من كلِّ قلبِكَ ''مِن عند الربِّ خرج الأمر''.

2- إستثمر فترة الخطوبة بطريقة صحيحة لتضع الأسس الصحيحة لبناء حياتك الزوجية، وأحذر الأفكار المتحرِّرة غير الصحيحة التي ستفقد هذه المرحلة دورها الصحيح.

3- إنّ فسخ الخطوبة بالرغم من الآثار الصعبة الناتجة عن ذلك أفضل بكثير من الاستمرار فيها حتى إتمام الزواج حفاظاًعلى المظاهر الاجتماعية.

4- لا تتسرَّع فى الإقدام على فسخ الخطوبه قبل أن تُراجع الأسباب التي تقودك لذلك أمام الربِّ، وإفحص نفسك بإخلاص وقل للربّ ''إختبرني يا الله وإعرف قلبي. إمتحني وإعرف أفكاري. وأنظر إن كان فى طريق باطل وأهدني طريقاً أبدياً'' (مزمور 139/23-24).

5- إستشر أحد المرشدين الروحيين الذين أقامهم الله فى وسطنا واستفد من نصائحه وتوجيهاته. وخذ وقتاً كافياً فى الصوم والصلاة، حتى تتأكّد تماما أنّ هذه هي إرادة الله فى حياتك، وتذكَّر قول سليمان الحكيم: ''تَوكَّل على الربّ بكلِّ قلبِكَ، وعلى فهمِك لا تعتمد فى كلِّ طُرُقِكَ، أعرفه وهو يُقوِّم سُبُلَكَ'' (أمثال 5/3-6).

الخطوبة

– مِنَ الناس مَن يُلبَّون الدعوة في الخدمة الكهنوتية أو التكريس الرهباني، وهم قلّة (دعوة خاصّة).

– ومنهم مَن يعيشون الحبَّ في الزواج، ضمن أسرة، وهم كثيرون (دعوة عامة).

– في كلتا الحالتين الدعوة هي إلى بلوغ الكمال في إقتفاء خُطى المسيح ''الطريق والحقّ والحياة''.

– يَتطلَّب الزواج، ككلِّ مشروع هامّ في الحياة، إستعداداً جديّاً يكفل لطالبيه النجاح في تحقيقه.

– ولَمَّا كانت الخطوبة مرحلة مصيرية للتأهُّب والاستعداد للزواج، عليه وَجَبَ على الخطيبين أن يولياها الإهتمام الكامل.

من عادة الخاطبين أن يقوما، في فترة الخطوبة، بزيارات تعارف، وسهرات، وحضور أفلام، ونزهات، وولائم، وأن يُعِدّا الهدايا وحفلة الزفاف وبطاقات العرس وجهاز العروس وإلى ما شابه ذلك من المستلزمات...

لكن غالباً ما، ومع الأسف الشديد، تبقى المساعي والجهود التي تُبذَل مقتصرة على المظاهر والشكليات والأمور المادية، في حين أنَّ الخطوبة هي أولاً إستعداد لتقبُّل سرَّ الزواج، وذلك عن طريق المعاشرة والتعارف والتفاهم والتأمُّل في سرِّ الله: الحبُّ. ''إنْ لَمْ يبنِ الربُّ البيت، فباطلاً يتعب البنّاؤون'' (مزمور 126/1). لذا من أجل بناء البيت وتأسيس الأسرة، وَجَبَ العمل مع الله. فالصلاة في فترة الخطوبة عامل هامّ للحصول على نِعَم غزيرة تسند

الضعيف، تقوّي الإرادة، تنير العقل، تُشدِّد العزيمة في المقاومة، تُقرِّب وجهات النظر بين الشريكين، تعطي الرؤية الصافية في الأمور، وتساعد على بدء مشاركة روحية تحت نظر الله. قال الله لابراهيم: ''سِر أمامي، وكن كاملاً!'' (تكوين 17/1). فالسير أمام الله يعني العيش بحضرته وحفظ وصاياه القدّوسة.

وتجدر الاشارة، في زمن الخطوبة، إلى مكانة التأمُّل في سرِّ حبِّ الله العظيم الذي يكتشفه الخطيبان الواحد في الآخر. وقد جسَّده المسيح في حياته، وهو الذي قال: ''ما من حبٍّ أعظم من حبِّ مَن يبذل نفسه في سبيل أحبائه'' (يوحنا 15/13). فيَتمرَّس الاثنان بحياة الروح في تأمُّلٍ مشترك ليشعرا بنشوة العذوبة في العلاقة الانسانية، والصفاء في النية، والحبِّ الروحي في النفس، قبل أن يسارعا إلى التفكير في التعبير عن الحبِّ الغريزي بالعلاقات الجنسية، لا سيما وأنَّ فترة الخطوبة لا تُجيز مثل هذه العلاقات. فامتلاك الخطيبين ذاتيهما في أثناء الخطبة يساعدهما على إنجاح حياتهما الزوجية.

دورات التهيئة إلى الزواج:

ــ هل تفتح مكتباً تجارياً إن لم تكن مُلمّاً بالتجارة؟

ــ هل تفتحين صالون تجميل إن لم تتقني فنّ التجميل؟

فكيف تَتقدَّمان على الزواج وليس لكما الإلمام الكافي بقضايا الزواج ومبادئ تربية الأولاد؟! فعليكما إذن أن تتمرّنا على الرسالة الجديدة، وَتتعلَّماها في أصولها، وأن تَتَّقِنا طرقها، وذلك بمراجعة الأهل وكاهن الرعية بقصد الاستشارة، ولتوضيح غوامض الأمور المُتعلِّقة بالحياة الزوجية. ولا بدّ لكما من إتّباع دورات إعدادية للزواج يُهيِّئها كهنة الرعايا للمخطوبين

ومؤمنون من ذوي الاختصاص في علم الاجتماع، الطب، وعلم النفس ومن العلوم الأخرى. فالدورات والمطالعات تلقي أنواراً على نفسية كلٍّ منكما، وَتُبدِّد الغموض وَتُصحِّح المعلومات الخاطئة حول هذا السرّ المُقدَّس، كما أنَّها توفِّر لكما الاطِّلاع الكافي لمعرفة حقائق الأمور من النواحي الروحية والنفسية والخُلقية... إنَّها لخُطَّةٍ مُثلى، وخطوة ضرورية. إنَّكما لتضلاّن إن إعتقدتُما بأنَّ القلب يَتعلَّم مهنته دون مُعلِّم ومرشد. فالحبُّ لا يُعلِّم نفسه بنفسه. عليه من الضروري أن يتعلَّم المخطوبين من ما تتضمَّنه الدورات وتُقدِّمه. وإليكم بعضاً من الأمور التي يتمّ طرحها وتقديمها في هذه الدورات الخاصّة للمخطوبين الذين يتهيّأون للزواج:

مواضيع في نفسية الرجل والمرأة، الحبُّ وأطواره، ماهيَّة الزواج وغاياته، العلاقات الزوجية، سرُّ الزواج في الكنيسة، الجنس في الحياة الزوجية، الايمان والحبُّ، فنّ تربية الأولاد، المسؤولية والالتزام، مشاكل الزواج والحياة الزوجية، رسالة الأزواج، الزواج طريق إلى القداسة...

كيف يتمَّ إختيار الخطيب أو الخطيبة:

ــ فَكِّري جيداً أيَّتها الفتاة وَتبصَّري مليّاً عندما تُريدين أن تختاري الشخص الذي سيلتزم بالعيش معكِ طوال حياتكِ، لئلا تضطرّي فيما بعد إلى الندم، تَروّي قبل أن تُقرِّري... وإعلمي أنَّ دعائم سعادة الخطيبة في المستقبل لا تقوم إذا وَجَدَت الشابّة ضالَّتها المنشودة في طبيب أو مهندس أو سليل أسرة ثَريَّة: له بيت وسيارة ومركزه الاجتماعي.

– وسعادتُكَ، أيُّها الخطيب لا تَتوقَّف على الجمال الخارجي في خطيبتِكَ، ولا على المال الذي تمتلكه، أو على الشهادات الحاصلة عليها. فأهمّ

الشهادات هي الصفات الحسنة والأخلاق الكريمة والتربية الحميدة والقيم التي تحملها الفتاة. فالجمال بلا كمال كزهرة بلا رائحة. فاستشر أهلَكَ وأصدقاءَك الأوفياء ذوي الخبرة والاطّلاع. واعلم أنَّ الاختيار يعود إليكَ وحدَكَ. فاختر برصانة وإتِّزان. وابحث، قبل كلّ شيء، في رفيقة حياتِكَ عن الصفات الروحية. وأهمُّها محبَّة الله والايمان بالمسيح، ذلك أنَّ الإيمان هو أساس الزواج المسيحي. وممارسته من قبل الطرفين لهو أمر ضروري للحياة الزوجية. فإذا كان الإيمان عنصراً أساسياً لحياة الشخص، فهو، بأولى حجّة، لا غنى عنه في الحياة الزوجية من حيث الانسجام ين حياتين في مصير واحد، فكراً ونمط الحياة. والاختلاف في الإيمان أو عدمه من قبل أحد الطرفين، فإنَّ ذلك يُعرِّضهما للمنازعة والشقاق. وقد يؤدّي إلى إختلاف متواصل بين الزوجين في أهمّ مشكلات الحياة، لا سيما في تربية الأولاد. وليتذكَّر الخطيبان قول طوبيا لرفيقة حياته: ''إنَّنا أبناء قديسين. فيجب ألاّ نقترن كالوثنيين الذين لا يعرفون الله'' (طوبيا 8/5). فالخطوبة هي إذاً تفكير وإنتقاء ووعد ومسيرة، وفترة إنتظار وإختبار وتهيئة وتَمرُّس لتفجير كلمة ''نعم'' أمام هيكل الله قبل الحصول على بركة الاكليل.

روحانية الخطوبة:

الخطوبة تجربة روحانية يعيشها الخطيبان، بحبٍّ مستمر، في غمرة الأفراح والسعادة والحماس والاكتشافات والانتظار والأمل. إنَّها موعد فريد من نوعه، لا يَتكرَّر. والحبُّ في الخطبة هو حبٌّ صافي وعذري. والخطبة تُمكِّن الخطيبين من التقرُّب إلى الله للإشتراك في حبِّه، فيَتعلَّم الخطيبان الكثير من خبرة هذا الحبّ:

1- يتوجدان: وفي إختبارهما يختبران حضور الله فيهما.

2- ينفتحان: وفي إنفتاحهما الواحد على الآخر يَتمرَّنان على فتح باب قلبيهما للمسيح.

3- يَتعرَّفان: وفي تَعرُّفهما الواحد على الآخر يكتشفان الله.

4- يَتحابّان: وفي تَحابِّهما يَتعلَّمان حبَّ الله الذي أحبَّهما أولاً، وحبَّ المسيح الذي بذل حياته من أجلهما.

5- يشتركان: في صلاتهما يُشركان الله في نعمة الحبِّ التي أفاضها في قلبيهما.

6- يفرحان: وفي فرحهما يدركان أنَّ الحياة مع الله فرح مستمر.

7- يتألَّمان: وفي صُلب حياتهما وعلاقاتهما يكتشفان حدودهما والتباين في طبعيهما، وعدم إكتمالهما في الشخصية والحبِّ، فيحملان صليبهما منذ اليوم الأول من تعارفهما.

8- يَتعلَّمان: في إرضاء الواحد الآخر على علاّته... كما قبلهما الله على علاّتهما.

9- في إحترام المواعيد يَتعلَّمان أنَّهما دوماً على موعد مع المسيح. في السير معاً يدركان ضرورة السير مع الله، الصديق الوفي دائماً.

10- يصبران: في تشوّق الانتظار لليوم العظيم، يوم الزواج، ويختبران معنى الصبر والتضحية.

11- يلتزمان: وفي التزامهما المتبادَل يدركان واجب التزامهما بنشر رسالة حبِّ المسيح وسلامه.

فروحانية الخطوبة إذن، هي روحانية إنتظار لا تشوبه شائبة، إنتظار مُكثَّف بالاستعداد الجدّي، مُرَوْحن بالصلاة، مُقدَّس بحضور الله. إنَّها روحانية

ترتكز على ممارسة سرِّ التوبة، للحصول على الغفران والمصالحة، ولتجديد عهد الحبِّ، كما ترتكز على سرِّ الافخارستيا بالاشتراك في حـــبِّ المســـيح. فيَتعلَّم الخطيبان بممارسة هذين السرَّين كيفية العيش بنقاوة القلب وتضـــــحية الارادة ومسامحة الآخرين، ويكتملان معاً في المسيح.

الوثائق المطلوبة من الخطيبين:

الوثائق الكنسية المطلوبة من قبل الطرفين هي:

1–شهادة المعمودية ومسحة الميرون المقدّس للخطيبين.

2–شهادة مطلق حال لكلٍّ منهما صادرة عن السلطة الكنسية المُختصَّة.

3–شهادة بالتفسيح من الموانـــع الكنســـية إن وجـــدت (مثلاً: القرابـــة الدموية).

4– إذا كان أحد الطالبين غريباً من الرعيَّة التي يريد الاحتفـــال فيهـــا بزواجه، توجب عليه أن يحصل على موافقة كاهن رعيَّته الخاصّ للـــزواج في هذه الرعية.

5– تقرير طبّي للطرفين يُؤكَّد فيه على أهليَّة الطرفين النفسية والجنسية للاحتفال بالزواج.

صلاة الخطيب:

يا ربّي وإلهي، إسمح لي أن تشارك حياتي (فلانة)، وأن أجـــد بـــالقرب منها التعزية والطمأنينة اللّتين لن أتَمكَّن من الحصول عليهمـــا بـــدونها، وأن أُكرِّس حياتي معها لكَ ولمجدِكَ.

وإذا كنتُ لن أتَمكَّن، وأنا بالقرب منها من أن أصبح أفضل ممّا أنا عليه الآن، كما إذا كانت هي لن تَتمكَّن من أن تصبح أفضل ممّا هي عليـــه الآن، بالقرب مني، فأسألكَ أن تفصل واحدنا عن الآخر على أمل أن نلتقـــي معـــاً بطرق أخرى هنا في الحياة الأرضية، وبالأكثر في الحياة الأبدية.

الحبّ الزوجي

نحن مسيحيون مؤمنون... وإذن، حبُّنا يجب أن يكون مسيحيّاً أيضاً بحيث يُطابِق هويتنا... إنَّ الغاية من هذا الحديث أوَّلاً هو تصوير الحبّ الزوجي هذا كما يراه الإنجيل الذي هو دستور حياتنا. وثانياً تعميق مفهومنا لهذا الحبّ، ليعي الخطيبين قيمته ودوره في حياتهم الزوجية المُقبلين عليها، وليصبح هذا المفهوم قاعدة وأساس لعلاقة المتزوّجين في شركة حياتهم معاً.

مصدر الإنسان:

خلق الله المحبَّة الإنسان، ومن أجل الحبِّ خلقه، ودعوته هي الحبّ. جاء من الحبِّ، ويجب أن يعود إلى الله بوساطة الحبِّ ومع الإنسانية كلِّها.

الحبُّ هو إذن مصدر الإنسان، وبدونه لا يستطيع أن يُحقِّق ذاته، وأن يبني العالم وهو منبع طاقته، وسرّ توازنه.

لقد أراد الله أن يُقيم مع شعبه علاقة حبٍّ، وشرُّ الخطيئة وجوهرها يكمن في قطع هذه العلاقة. الخطيئة هي إذن قطع عهد المحبَّة بين الله والإنسان. الخطيئة هي رفض الحبِّ.

لا شكَّ أنّ الشبيبة اليوم، تتوق إلى الحبِّ الحقيقي. لكن ما هي مَيِّزات هذا الحبّ الحقيقي؟ وما أبعاده؟ وما أحلام الإنسان؟

الأحلام الثلاثة

تراود الإنسان ثلاثة أحلام هي آمال ورغبات عميقة فيه وحاجات أساسية، يتوقّف عليها بناء الحبِّ الحقيقي في الزواج.

1- حلم الجسد:

يحلم جسد الرجل بالاتّصال بجسد المرأة، وجسد المرأة بدوره يحلم بالاتّصال بجسد الرجل، إنَّه شوق متبادل بين الطرفين. هذا الحلم ما هو إلاّ جاذبية غريزية قوية تشدّ الجنسين، الذكر والأنثى، الواحد نحو الآخر. إنّ الهدف من هذا الحلم هو تكوين روابط بين البشر، بنيان الخلية الأُسرية ومِن ثمَّ بناء الأُسرة البشرية كلِّها.

إذن في إطار الزواج، يجب أن تخدم الطاقة الجنسية الهدف الذي وُجِدَت من أجله، ألا وهو تكوين وتدعيم الروابط بين الزوجين.

وهنا بإمكاننا أن نتساءل: هل يمكن أن تكون ممارسة العلاقة الجنسية داخل إطار الزواج خاطئة؟ نجيب: نعم، خاصة عندما تُمارَس إنطلاقاً من هدف أناني وليس عن حبٍّ، عندها يصبح الواحد وسيلة لذّة للآخر.

فالمسيحية تُشدِّد على إنسانية الآخر وإحترام كرامته وحريَّته، وترى في الحبِّ قيمة عليا يُنمّي الشخصية ويفجّر طاقاتها. إنّ الهدف من الغريزة الجنسية في الإنسان هو الترابط بين شخصين وبنيان علاقة حبٍّ بينهما.

2- حلم العلاقة:

في الإنسان حاجة إلى العيش في علاقة مع الآخر، فهو بطبيعته، مدعو للدخول في هذه العلاقة التي تجعل منه إنساناً. فحياة الحبّ التي خُلِق منها ويُدعى إليها، تفترض وجود آخر يُبادِله هذا الحبّ. فالحبّ هنا يمتصّ كلَّ الطاقة الجنسية ويسمو بها إلى مستوى العلاقة الإنسانية الفريدة. هكذا

يتبيّن لنا مرة أخرى، أنَّ الطاقة الجنسية هي طاقة وظيفية، هـــدفها تحقيـــق الحبِّ وتوطيد العلاقات البشرية.

3- حلم الشخص:

فيه تبلغ العلاقة ذروتها من النضج حيث يُعامَل الإنسانُ على أنَّه غاية في ذاته لا وسيلة، يُعامَل معاملة شخصٍ بشري تامّ لا كرقم أو كحلقـــة فـــي سلسلة. دون شكّ، يرغب الإنسان في أن يكون موضـــوع إحـــترام بوصـــفه شخصاً لا شيئاً أو غرضاً.

فلكي يكون الحبُّ حقيقياً، يجب أن يتوجّه إلى ذات الشخص الآخر فـــي جوهرها. أحبُكِ من أجلكِ أنتِ، لا من أجلِ جمـــال جســـدكِ أو صـــفاتكِ أو مؤهَّلاتكِ أو ممتلكاتكِ فقط. أحبك أنتِ، أحبُّك لذاتِكِ.

وطالما أنَّ الحبَّ لم يقصد (الذات العارية) في الإنسان يبقى حبّاً مبتوراً (مثال: خطيبان متحابّان، تَعرَّض أحدهما لحادثة أفقدته بصره... ماذا بعـــد؟. الحبُّ الحقيقي هو حبٌّ بلا شروط، حبٌّ من أجل الطرف الآخر لا من أجلِكَ أنتَ. فالذات العارية هي التي تجعل الأمّ تحبُّ إبنها في كلِّ الظروف حبّاً غير مشروط. هذا الحبُّ هو صورة عن حبِّ الله لنا، حبٌّ بلا حدود، بلا شـــروط يصل إلى درجة بذل الذات (حبُّ المسيح قاده إلى الصليب). النتيجة: يصـــبح الحبُّ حقيقياً بقدر ما يُحقِّق هذه الأحلام الثلاثة.

أبعاد الحبِّ:

ثلاثة هي أبعاد الحبِّ: بُعد الجسد، بُعد القلب، وبُعد العقل

في غياب واحدٍ من هذه الأبعاد يختلُّ الحبُّ، ويصبح ناقصاً وَتتعـــرّض الحياة الزوجية من ثمَّ للخطر والانهيار.

أ- فالحبُّ بدون بُعد جسدي يُلغي الحياة الزوجية ويُغيّب هدف الـــزواج وغايته (تكامل الشخصين، والخَلْق).

ب- والحبُّ بدون بُعد عاطفي يَتحوَّل إلى إتّحاد جسمي فقـــط، يصـــبح الواحد فيه مُجرَّد أداة لذّة للآخر. يصبح موضـــوع إســـتهلاك. (الحيوانـــات تتجامع، بينما الإنسان يتزوّج).

ت- والحبُّ بدون بُعد عقلي يفقد ضمانته واستمراريته، ويصبح أشـــبه بحبِّ المراهقين الخيالي. إنّ الحبَّ الحقيقي من أعمال الراشدين الناضـــجين، فهو يتطلّب تفكيراً والتزاماً واعيين لمواجهة أزمات الحياة الزوجية ومشاكلها.

مِيِّزات الحبِّ الحقيقي:

- الاختصاص: الحبُّ عطاء كلِّ الواحد لكلِّ الآخر. عطاء الوحدة للوحدة، حياة واحدة لحياة واحد، رجل واحد لامرأة واحدة، وحدانية الزواج، فتَعدُّد الزوجات أو الأزواج مرفوض لأنَّه يُشَيء الإنسان.

- الاستمرارية: أحبُّك اليوم، وغداً، وكلَّ يوم. ثمّة أغنية تقول (حَبَّيتك، وبحبَّك، وححبَّك على طول). إنَّ ديمومة الحبِّ أكبر دليل علـــى مصـــداقيته وعافيَّته.

لذا زواج المُحبّين ضروري لأنَّه الإطار الذي يحفظ فقط حبّهمـــا، إنَّـــه مكان لحفظ الحبِّ.

- الانفتاح: الحبُّ خروج من الذات ونكرانها للقاء الآخر، كلِّ الآخـــر، وكلّ آخر، وإلاّ تحوّل إلى حبٍّ ينطوي على أنانية إثنين، ينغلق على ذاتـــه، يتقوقع، يموت. فالحبُّ الحقيقي بين الزوجين يفتحهما على حبِّ الناس جميعاً، ويُفضي بهما إلى حبٍّ شامل.

الزواج

1- من عقد طبيعي:

الزواج عقد طبيعي يبرمه الرجل والمرأة عن رضى تام، يقوم على عطاء متبادل، يقرّ فيه كلُّ طرف بحقوقه على الآخر، ويعترف الطرفان بواجبات مشتركة، لتحقيق الوحدة في الحبِّ، والتكامل في الحياة، والمساهمة في إنجاب البنين وتربيتهم.

والزواج حياة إجتماعية بين الرجل والمرأة، في مشاركة تامَّة كاملة، وفي حياة حبٍّ مؤسَّس على العطاء المتبادل والشامل: روحاً وجسداً. يُحقِّق الانسان بالزواج رغبة طبيعية في أن يستمر بالبقاء. وبالتالي يستمرّ الجنس البشري. وقد وُضِعَ الميل الجنسي ليحثَّ الانسان على الزواج، والزواج وحده يُبرِّر تلبيته. فلا يكون التقارب الجنسي خُلقياً بالانسان إلاّ إذا سبقه وأُعِدَّ له تقارب الأرواح. وكان حصيلة تكامل نفسي وخُلقي وإجتماعي. فالزواج عقد طبيعي وإجتماعي معاً.

2- إلى إشتراك في فعل الحقائق:

أراد الله، عزَّ وجل، أن يُشرِكَ الزوجان الأوّلان في فعل الخلق، فأسَّس الزواج، وبارك البشر، وقال: ''انموا واكثروا واملأوا الأرض'' (تكوين 1/28). فربط الزواج بفعلِ الخلق، وليستمرَّ الخلق باشتراك الخليقة في الخلق، عن طريق إنجاب البنين.

وَيتبيَّن من نصوص الكتاب المُقدَّس (تكوين 1/26–28، 2/8–24) أنَّ الله خلق الانسان ''ذكراً وأنثى'' (تكوين 1/26)، أي خلقهما جنسين متباينين، لكن متكاملين، ودعاهما إلى الاتِّحاد والعيش المشترك في المحبَّة والتعاون والتضحية، بحيث يصبحان جسداً واحداً وروحاً واحدة. فيَتطلَّب هذا الاتِّحاد منهما عطاءً متبادلاً تاماً. والعلاقة الجنسية بينهما تُعبِّر عن الحبِّ والعطاء المتبادلين وعن الاتِّحاد التامّ بينهما، فتنتج عن هذا الاتِّحاد حياة جديدة: الأولاد.

3- وإلى اشتراك في الحياة الإلهية:

وحيث الحبّ، فهناك الله. وعلاقة الحبِّ بين الزوجين هي رمز وعلامة لعلامة الحبِّ اللامتناهي في الثالوث الأقدس. فيُعبِّر الزوجان في حياتهما المشتركة عن حبِّ الله لهما، ويعيشان هذا الحبّ بملء كيانهما.

''إنَّ هذا السرّ لعظيم'':

وجاء المسيح، فقدّس الزواج بحضوره عرس قانا الجليل، وأعاد إليه حرمته الأولى التي وضعها الله له منذ البدء، مُشدِّداً على وحدته وإستمراريته، إذ قال: ''ليسا هما إثنين بعد، ولكنَّهما جسد واحد'' (مرقس 10/8). ''فدنا الفريسيون وسألوه مُجرِّبين له، هل يَحُلُّ للرجل أن يُطلّق زوجته؟''. فأجابهم قائلاً: إنَّ موسى قد أذِن لكم أن يُكتَبَ كتاب الطلاق وتُخلَّى. فأجاب يسوع، وقال: إنَّه لأجل قساوة قلوبكم كَتَبَ لكم هذه الوصية، ولكن في بدء الخليقة، ذكراً وأنثى خلقهم الله. لذلك يترك الرجل أباه وأمّه، ويلزم امرأته، فيصيران كلاهما جسداً واحداً. فليسا هما إثنين بعد، ولكنَّهما جسد واحد. وما جمعه الله لا يُفرِّقه إنسان (مرقس 10/2–9).

واعتبرت الكنيسة، منذ نشأتها، الزواج سرّاً من أسـرارها. وقـد رأى بولس الرسول في إتّحاد الزوجين صورة لوحدة المسيح بالكنيسـة، إذ قـال: ''فأنتنَّ، أيّتها النساء، إخضعن لرجالكنَّ، كما للربِّ (...) وأنتم، أيّها الرجال، أحبّوا نساءكم كما أحبَّ المسيح الكنيسة. لقد بذل نفسه لأجلها (...)، إنَّ هـذا السرّ لعظيم''. (آفسس 5/22- 33). تحمل كلمة سرّ ثلاثة معانٍ:

1- السرُّ بمعنى قول أو حدث أو شيء يحتفظ به شخص أو أكثر فـي قلبه دون المجاهرة به، فيبقى سرِّياً.

2- السرُّ (في أسرار الديانة) بمعنى حقائق دينية تفـوق مقـدرة عقلنـا البشري، فنؤمن بها لأنَّ الله أوحى بها، والكنيسة تُعلِّمنا أيّاها.

3- السرُّ (في أسرار الكنيسة) هو علامة حسيّة خارجية تشير إلى نعمة داخلية يمنحها المسيح للنفس بحسب إحتياجاتها. فالسرُّ هنا يعنى عمل تقديس.

الأسرار في المسيحية:

الأسرار في المسيحية تعني حقائق دينية تفوق مقدرتنا العقليـة. وأهـمّ أسرار الديانة هي ثلاثة:

1- سرُّ الثالوث الأقدس، أي سرّ الإله الواحد في ثلاثة أقانيم متسـاوية: الآب والابن والروح القدس.

2- سرّ التَجسُّد، أي سرّ تجسد كلمة الله (الابن) في أحشاء مريم البتول.

3- سرّ الفداء، أي سرّ الموت وقيامة مُخلّصنا يسـوع المسـيح لأجـل خلاصنا. فكلّ مرة نرسم إشارة الصليب على صدرنا نجاهر بإيماننـا بهـذه الأسرار الثلاثة. أمّا أسرار الكنيسة (أي أعمال التقديس)، فهي سبعة:

المعمودية، مسحة الميرون المقدَّس (سرُّ التثبيت)، التوبة، الأفخارستيـا،

مسحة المرضى، الكهنوت، والزواج. وهي أشبه بسبعة أنهر غزيرة تنبع من جنب الفادي الإلهي الذي مات وقام ليفيض على المؤمنين نعم إخلاص، فُيقدِّس بها نفوسهم ويشركهم اليوم في موته وقيامته. وسرُّ الزواج هو أحد أسرار الكنيسة هذه:

– العلامة الحسّية الخارجية في هذا السرّ هي كلمة ''نعم'' التي يتبادلها الخطيبان ضمن الرتبة الخاصّة بحفلة زفافهما.

– وبكلمة ''نعم'' يتمّ الاحتفال بعهد الزواج الذي يربط حياة الزوجين المشتركة برباط الحبِّ، وفي الوقت نفسه يتمّ سرّ الزواج، أي أنَّ الله يفتح كنوز نعمه عليهما.

– وسرّ الزواج هو من أسرار الأحياء، أي يشترط إستعدادً روحياً لقبول خيرات هذا السرّان وأن يكون الخطيبان مصالحين مع الله، أي في حال النعمة.

زواج في الربِّ:

يُشبِّه بولس الرسول علاقة الزوج بالزوجة بعلاقة المسيح بالكنيسة، وهي علاقة حبٍّ وتضحية من قبل المسيح من أجل عروسته (الكنيسة). وعلاقة تعاون وتجاوب لتوجيهات المسيح في سرِّ الفداء من قبل الكنيسة. يحتفل الطرفان بعهد زواجهما ''في الربِّ'' (اكورنثس 7/39)، فيتمّ السرّ بالموافقة المتبادلة والصلاة ونعمة الروح القدس. وهكذا يشركهما في إتّحاد المسيح في سرِّ الفداء، سرّ موته وقيامته، فيشتركان في إتّحاد المسيح بكنيسته. فالزواج المسيحي هو تكريس الرباط المُشترَك الذي يوحِّد الزوجين، إنَّ العلاقة المُقدَّسة والمقدِّسة تُقدِّس حياة الزوجين وشركتهما معاً.

والحبُّ الزوجي البشري يصبح، بالسرِّ، حيّاً مُكرَّساً، مرتبط بالمسيح، مُستمِّداً منه القوة ليكون على مثال حبِّ المسيح للكنيسة في العفّة والخدمة والتضحية. وتجعلهما نعمة الزواج أكثر حبّاً لله، في حبِّهما، وأكثر إتّحاداً به، في إتّحادهما.

الزوج ـ المسيح ـ الزوجة:

والمسيح، بتواجده في حبِّ الزوجين المؤمنين، يُنقّي الحبَّ البشري من كلِّ شائبة. ويحيا مع الزوجين وفيهما، إنَّه يعمل معهما كلَّ سنة من سنوات حياتهما، وكلَّ شهر من السنة، وكلَّ يوم من الأسبوع، وكلَّ ساعة من اليوم، وكلَّ دقيقة من الساعة. إنَّه يعمل معهما وفيهما على الدوام، إذا أفسحا له المجال وفتحا له باب قلبيهما. وبحياة المسيح فيهما يصبح الزوجان مسكناً للروح، ويضحي منزلهما معبداً للربِّ وهيكله، ويكوّنان من عائلتهما كنيسة مُصغَّرة لكنيسة المسيح.

متى يتمّ الاحتفال بعهد الزواج وسرّه؟

يتمّ الاحتفال بعهد الزواج وسرّه في آنٍ واحدٍ عندما يتبادل الطرفان المؤمنان الرضى، ويحصلان على بركة الكاهن المفوَّض، وبحضور الشاهدين. ولكي يصبح الزواج صحيحاً، يجب أن يكون:

1- عن معرفة: أي أن يعرف المحتفلان أنَّ الزواج هو شركة حبٍّ مستمرة بين الرجل والمرأة، هادفة إلى تعزيز الحبِّ وتنميته، وإلى إنجاب البنين وتربيتهم.

2- بملء الحريّة: أي بدون ضغط ولا إكراه. فإنَّ فعل الارادة الحرّ، الذي يُسلِّم به كلٌّ من الطرفين إلى الآخر حقَّ الزوجية الخاصّ، ويَتسلَّمه منه،

هو ضروري للاحتفال بعهد الزواج، ولذلك إذا قدم أحد الخطيبين على الزواج خلافاً لإرادته وحريّته ــ أي تحت الضغط ــ يكون زواجه باطلاً من أساسه. ويجب أن يدرك المحتفلان أنَّ شرائع الزواج لا تخضع لحريّة الانسان لأنَّ الله رسمها، ولا يمكن أن تُغيِّرها إرادة بشرية أيَّة كانت.

مَنْ يَمنَح سرَّ الزواج؟

يمنح الخطيبان المحتفلان أحدهما الآخر سرَّ الزواج بكلمة ''نعم'' وهي جواب على السؤال الذي يوجّهه إلى كلٍّ منهما الكاهن المُكلَّف رسمياً من قبل سلطة الكنيسة. وكلمة ''نعم'' التي يتمّ بها الاحتفال بعهد الزواج وسرّه، تُشير إلى الموافقة على الحياة المشتركة في العطاء المتبادل بعون المسيح، فترتبط حياتهما في السَّراء والضَّراء حتى الموت. وكلمة ''نعم'' هي بمثابة مفتاح لباب الزواج، يُجدِّدها الزوجان كلَّ يوم بحبِّهما وحياتهما وعلاقاتهما المتبادلة في جهد يتطلَّب نضالاً مستمراً.

النِعَمْ الإلهية المرتبطة بسرِّ الزواج:

يفتح الخطيبان المؤمنان حبَّهما لقبول حضور المسيح فيهما فيحصلان على سرِّ الزواج. ويبدأ مفعول السرِّ في الزوجين معاً، علاقة وحياة، منذ الاحتفال بالبركة. ويستمر مادام الطرفان على قيد الحياة. ينفذ مفعوله فيهما فيربطهما، ويُقدِّس أعمالهما وأولادهما، وهكذا يصبح الفادي الإلهي قلب الأسرة النابض، وصديقها، وسندها، ويشترك في مراحل حياتهما، فيؤتيهما بروحه القدوس الوحدة والمشاركة في التقديس والفرح والتعاون والإحتمال المتبادل والأمانة مدى الحياة.

غاية الزواج:

سَنَّ الله شريعة الزواج، وأقام لها غايات وهي:

خير الزوجين في الحبِّ، وإنجاب البنين وتربيتهم. هذا ما علّمته الكنيسة عبر الأجيال، وأوضحه المجمع الفاتيكاني الثاني في دستوره الذي يحمل العنوان ''الكنيسة في عالم اليوم'': ''إنَّ غاية نظام الزواج والحبّ الزوجي هي، بحكم طبيعتها نفسها، خير الزوجين، إنجاب النسل وتربيته. هاتان الغايتان هما قمّة وتاج الزواج والحبّ (فرح ورجاء، العدد/48). ولكي يضمن الربُّ تحقيق هذه الغاية الشريفة، أراد أن يجعل لعهد الزواج صفتين أساسيتين وجوهريتين، وهما أولاً: وحدة الزواج، أعني زوج واحد لزوجة واحدة وزوجة واحدة لزوج واحد. وثانياً: ثباته، أعني ديمومته إلى الموت، أي لا يقبل الحلّ كونه عهد. هاتان الصفتان ناتجتان عن طبيعة الزواج نفسه.

صفات الزواج

1- وحدة الزواج:

فيما يتعلَّق بموضوع خلق الانسان يقول الكاتب الملهم في أول سفر من الأسفار المقدَّسة: ''في البدء خلق الله الإنسان (...)، ذكرا وأنثى خلقهم'' (تكوين 1/26). ويعني بذلك وحدة الذكر والأنثى اللّذين خلقهما الله في الإنسان. ولقد رسم الخالق هذه الوحدة في بدء الخليقة، عندما قال: ''لذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته، فيصيران إثنين في جسد واحد'' (تكوين 2/42).

وأوضح بولس الرسول هذه الحقيقة بقوله: ''فلتكن لكلِّ رجل امرأته، وليكن لكلِّ امرأة رجلها'' (1كورنثس 7/2). واحد إذن لواحدة، وواحدة

لواحد، لأنَّهما متساويان في الحقوق الانسانية، ولأنَّ الحبَّ الزوجي الحقيقي يقتصر على شخصين، دون سواهما، يتبادلان فيه عطاء ذاتيهما عطاء كاملا. فوحدة الزواج إذاً، تُحقِّق معنى الحبّ في أسمى غاياته، وينتج عن هذه الوحدة الأمانة الزوجية.

2- أمانة الزوجين:

إلتَزَمَ كلا الزوجين يوم الاكليل أمام الله والكاهن والشهود بأن يحفظا هذه الأمانة المتبادلة حتى الموت. والخاتم هو رمز وعلامة لهذه الأمانة، وتتطلَّب الأمانة جهوداً يومية مُكثَّفة إزاء ما قد ينشأ عن الحياة المشتركة ومسؤولياتها من صعوبات وعقبات. ومن البديهي أنَّ الخيانة الزوجية، حتى في الفكر، هي إثم في عين الله، وإنتهاك لحرمة الحبِّ الزوجي، وإهانة لكرامة الفريقين الآخر ''كلُّ مَن نظر إلى إمرأة كي يشتهيها فقد زنى في قلبه'' (متى 5/28).

لا شكّ في أنَّ نِعَم سرِّ الزواج تساعد على أن يبقى الزوجان أمينين، مخاصين الواحد للآخر مدى الحياة، أمينين في حبِّهما وإتّحادهما. فيضع الواحد ثقته التامّة في الآخر، ويشعران بثقة متبادلة تجعلهما يرتاحان، إنَّها ثقة تؤدّي إلى الهناء والسلام في علاقاتهما وضمن عائلتهما.

ومن أنجح الوسائل للإستمرار في تنمية الأمانة الزوجية هي الاقتراب من سرِّ الأفخارستيا: وهو سرُّ الحبِّ والوحدة المسيحية والوحدة الزوجية. فيشترك الزوجان في ذبيحة القداس الالهي، ويُقدِّمان على مذبح الربِّ، مع ذبيحة الابن لأبيه السماوي: أفراحهما وأتراحهما، صعوباتهما وأشغالهما، تجاربهما وضعفهما، حياتهما وحبّهما. فينيرهما المسيح ويُقوّيهما ويُقدِّسهما

ويُغذّيهما من جسده ودمه وحياته. وهما يُغذِّيان حبَّهما بحبِّ المسيح الذي يجمع قلبيهما ويوحِّدهما. فيَتجدَّد الزوجان في أمانتهما، ويَتقدَّسان في حياتهما، وينموان في حبِّهما المتبادل. وتجدر أيضاً الإشارة إلى أهمية الإماتة الجسدية (صوم، قطاعة، إماتات، تضحيات، إلخ)، وإلى حمل صليب المسيح، وتنمية روح التضحية، وإلى واجب الصلاة المشتركة اليومية في البيت: الزوجان معاً، والزوجان مع الأولاد. كما أنَّ التقرُّب من سرِّ التوبة يُشدِّد العزيمة، يُنهض من الضعف، يُقوّي الإرادة، يساعد على التَغلُّب على التجارب، يُهذِّب الميول الرديئة، ويُنَقّي القلب.

3- ثبات عهد الزواج:

يعني ثبات عهد الزواج ضرورة الاستقرار في الحياة الزوجية من أجل سلامة الزواج للنمو الانساني لدى الأهل والأولاد. ويستمدّ الزواج ثباته من الشريعة الطبيعية ومن طبيعة الزواج ومن ضرورة الاستقرار في الحياة الزوجية والهناء الشخصي والنضج الانساني. والثبات في الزواج يخلق جوّاً سليماً لتربية الأولاد، ولقد يجابه الزوجان أحياناً صعوبات يُفكِّرون أنَّها مُستعصية، لكنَّها تذوب مع الوقت عن طريق التَحمُّل والصبر والرويّة والتضحية والصلاة.

مُتطلَّبات السعادة الزوجية

1- الاشتراك في عمل التقديس:

الزواج طريق إلى القداسة يسير فيه الزوجان جنباً إلى جنبٍ. لأنَّ حياتهما أشبه بجناحي طير يخفقان في إنسجام. وبَرِئَتَي إنسان تعملان على

تنفس مشترك. وبما أنَّهما أصبحا جسداً واحداً وروحاً واحدة. فهما يسعيان معاً إلى أهداف واحدة.

ولمّا كان الزوج يُقدِّس الزوجة، والزوجة تُقدِّس الزوج (1كورنثس 7/14)، فذلك لأنَّ كلِّيهما شطر من كلٍّ، ويقتضي بينهما التجاوب والتفاعل من أجلِ عملٍ مشترك في سبيل القداسة. فالواحد يُصلّي مع الآخر ومن أجله، وكلٌّ منهما يرفع الآخر إلى الله الذي يعمل معهما لأنَّهما (يدا الله)، كما أنَّ المسيح والروح القدس هما (يدا الله)، حسب تعبير القديس إيريوناوس. فالعائلة هي هيكل ومذبح مُقدَّس، له قُدسيَّته وحرمته. فبقدر ما يحترم الطرف شريكه ويُضحّي في سبيله، بقدر ذلك يَتقدَّس البيت الزوجي.

2- الفرح والهناء والعيش معًا:

مِن مَيِّزات المؤمن المسيحي الفرح الذي أتانا بميلاد الفادي وموته وقيامته. والفرح من العطاء ''إنَّ العطاء أعظم غبطة من الأخذ'' (أعمال الرسل 20/35). ولمّا كان الحبُّ يجلب الفرح، فحبُّ المسيح للزوجين يؤتيهما الفرح والغبطة والسرور. وكذلك حبُّ الزوجين المتبادل ينجم عنه الفرح المتواصل الذي ينشرانه في أفراد عائلتهما ومجتمعهما. وما أسمى الفرح في المجتمع. هذا وقد خلق الله الانسان ليعيش في هناء وسعادة، وجمع الله بين قَلبَين مُحِبَّين ليطفح فرحهما ويتزايد، وليهنأ في الحياة، والفرح الأصيل ينبع من الاتّحاد بالله والعيش تحت كنفه.

3- التعاون بين الزوجين:

أراد الله أن تكون حواء عوناً لآدم، وهذا ماعنى به عندما قال: ''لا يحسن أن يكون الانسان وحده، فأصنع له عوناً'' (تكوين 2/18). فالمرأة

شريكة الرجل وَيترَتَّب على الاثنين مسؤوليات مشـــتركة، لتحقيـــق طبيعـــة الزواج، فيتعاون الزوجان في جميع مراحل حياتهما، في السرّاء والضـــرّاء، ليكتملا نفساً وجسماً، عقلاً وقلباً، روحاً وروحانيةً. كما أنَّهما يتعاونـــان فـــي أمور المعيشة، وفي قضايا المنزل، وفي تربية بنيهما.

4- التَحمُّل المتبادل:

لكلٍّ من الزوجين نفسيَّته وذوقه وتربيته وبيئته وطرق تفكيره الخاصّـــة. ونعمة سرِّ الزواج لا تُغيِّر نفسية وطباع كلّ من الزوجين، بل تُقوّيهما كـــي يبديا مصلحة العائلة على كلِّ إعتبار آخر، وتساعدهما على تَحمُّـــل أحـــدهما الآخر، وعلى تجاوز الصعاب والمصائب بشجاعة وســـخاء خاصـــة وقـــت الأزمات. فتزداد علاقتهما متانة وقوة، وينتصـــران، بعـــونه تعـــالى، علـــى الأنانية.

واجبات الزوجين المتبادلة

''كونوا خاضعين بعضكم لبعضٍ في مخافة المسيح''

(آفسس 5/21)

1- واجبات الرجل تجاه امرأته:

''أيُّها الرجال أحبّوا نسائكم كما أحبَّ المسيح الكنيسة. لقد بـــذل نفســـه لأجلها ليُقدِّسها ويطّهرها...'' (آفسس 5/24). وهـــذا يفـــترض أنَّ للرجـــل المبادرة في الحبِّ والخدمة والتضحية، كما بادر المسيح كنيسته فـــي الحـــبِّ والتضحية. ومحبّة الرجل هي محبّة خدمة ونكران الذات لا محبّـــة ســـيطرة

واستغلال. فلا بدّ للرجل أن يُعامل زوجته بالحسن ويتصرَّف معها بـــاللّطف واللّين، لا بالخشونة والاستبداد والاستعلاء. وأن يعتبرهـــا شـــريكة حيـــاته، يكاشفها بأموره اليومية، فيربح ثقتها وحبَّها. وَيترَتَّب عليه أن يكون لها رفيقا مُخلصاً يشاطرها أفراحها وأتراحها، ساعياً إلـــى تَفهُّـــم طباعهـــا، مراعيـــاً شعورها وإحساسها. فيُقدِّرها ويحترمها ويكرمها، كما يُقدِّر نفسه ويحترمهـــا ويكرمها. ويَتوجَب عليه أيضاً أن يكون لها مُرشداً أميناً، ومُـــدبِّراً حكيمـــاً، مُضحِّياً براحته وذوقه، باذلاً كلَّ نفيس لإسعادها.

2- واجبات المرأة تجاه رجلها:

''وأنتنَّ، أيَّتُها النساء إخضعن لأزواجكنَّ كما للربِّ، لأنَّ الرجل هو رأس الكنيسة، التي هي جسده وهو مُخلِّصها، فكما تخضع الكنيسة للمســـيح، كذلك فلتخضع النساء لرجالهنَّ في كلِّ شيء'' (آفسس 5/22-24). فكما أنَّ الكنيسة تتجاوب مع حبِّ المسيح، وتخضع له وتُبادله المحبّة والعطاء، كذلك على المرأة أن تهب ذاتها لرجلها وتتجاوب معه. وهكذا يَتبيَّن لنـــا أنَّ هـــذا الخضوع ليس خنوعاً ولا إذلالاً، بل تبادل محبّة، وحيث يســـود الحـــبُّ فلا إكراه ولا إستبداد ولا إستعلاء، بل خدمة في سبيل إذكاء جذوة الحبِّ، وتنمية روح المشاركة في العمل، وخلق جوّ السلام والهناء.

وهكذا نستطيع أن نقول أنَّ حبَّ الزوج لشريكته يساعدها على تحقيـــق ذاتها، كما أنَّ تجاوب المرأة مع حبِّ رفيقها وهبة ذاتها له يســـاعدها علـــى تحقيق ذاتها. وبمقدار ما يتمّ ذلك يتمّ الهناء والسعادة.

وعلى المرأة أن تستوثق من أنّها لن تجد صداقة أمتن، وإخلاصاً أكمـــل من صداقة زوجها ورجلها وإخلاصه لها. فيجدر بها، محافظة على هنائهـــا

الشخصي والسلام العائلي، أن تضع ثقتها تامّة في رجلها، فتتَّخـــذه صـــديقاً تستشيره بصراحة كُليَّة في أمور حياتها وعائلتها. وتُضحّي بكلِّ مـــا لـــديها لتكون لزوجها مساعدة تُحقِّق الهدوء والاطمئنان والهناء ''وقال الربّ الإله: لا يحسن أن يكن آدم وحده، فأصنع له مثيلاً يُعينه'' (تكوين 2/18).

الرجلُ رأسُ المرأةِ
كما أنَّ المسيحَ رأسُ الكنيسةِ

إذا سألتُ زوجاً (زوجة) ما. هل تحبُ زوجتك (زوجك)؟
فسوف يجاوبني حالاً ودون أيّ تردُّد: بلا شكٍّ أُحبُّها.
إنَّ بقول الزوج هذا، يعني فعلاً ما يشعر به نحو زوجته أو ربَّما ما يقوم به من أجلها، من اهتمام ومراعاة لمشاعرها. لكنَّ الحبَّ الذي نريد التَحدُّث عنه هنا إنَّما هو أبعد ممّا يشعر به المرء، لا بل هو أبعد ممّا يفعله مباشرة. فمقياس المحبَّة هو تضحية بالذات.
أيُّها الزوج (الزوجة) إذا كنت حقاً تحبّ إمرأتك (زوجك):
1- ضحَّ بنفسك من أجلها (أجله).
2- إهتم بخيرها (بخيره) الروحي.
3- أُسلك طريق الصليب أمامها (أمامه).
4- كن متواضعاً في ممارسة سلطتكَ (كِ).

ضحَّ بنفسك من أجلها (أجله):

إنَّ كلمة "أحبّوا" التي يستعملها الرسول بولس في رسالته إلى أهل آفسس (5/ 25) هي "أغابي" في اليونانية، وهي تعني المحبَّة المُضَحَّيَة، تماماً كما أحبَّ المسيح الكنيسة وَضَحّى بنفسه من أجلها ليُقدَّسها ويُطهَّرها... حتى يزفَّها إلى نفسه كنيسة مجيدة لاعيب فيها ولاتجعُّد ولا ما أشبه ذلك، بل مقُدَّسة لا عيب فيها.

ندرك من هذا التعليم، الجوهر الروحي لنظام الله الخاصّ بالعائلة، وللوهلة الأولى يستنتج المرء أنَّ الزوج قد أُولي السلطة على زوجته وأولاده. فيبدو الرجل في المقام السامي وكأنّي به يقول: "أنا هو السيد" "أنا الآمر والناهي". لكن لا بدّ للمرء من نظرة أعمق، لأنَّ السلطة الإلهية المنوطة بالزوج والأب هي على مثال سلطة المسيح. فسلطة المسيح مبنيَّة على التضحية بنفسه. إنَّ سلطة الزوج ليست سلطة جسدية، أو سيادة إنسان على آخر. إنَّها سلطة إلهية مبنية على التضحية بالذات.

هذا المبدأ الأساسي تُعبَّر عنه بوضوح إعالة الزوج لعائلته فليحرص الزوج على تأمين الحاجاتالضرورية لعائلته. فإذا مال إلى عمل جدير به وكسب دخلاً متواضعاً، فليس من العار في نظر الله أن يعيش ببساطة كما يسمح ذلك الدخل، بل العار في أن يهمل نظام الله لخير العائلة رغبة في كسب المال. وكما يجب على الكنيسة أن تَتكَّل على المسيح وحده في كلَّ ماتحتاج إليه، كذلك على الزوجة والأولاد أن يَتَّكلوا على الزوج والأب لتأمين حاجاتهم (على الأقل طالما الأولاد هم صغار وقاصرين). فإذا إضطرَّ الزوج إلى أن يحرم نفسه من الراحة وأن يَتخلّى عن شيء من الحظوة عند أصدقائه ليجعل مستوى معيشته على قدر ما يستطيع، فهذا أقلّ ما يطلب الله منه. وهذا تجسيد لدور الزوج الذي عليه أن ينكر ذاته، أي أن يُعبَّر عن حبَّه بتخلّيه عن أنانيته، ورفاهيته، بغية أن يخدم عائلته ويعيلها.

إرادة الله: إنَّ الزوج يجب أن يُحبَّ زوجته، وهذا الحبُّ يُقاس بالتضحية. إنَّه الزهرة الإلهية النادرة التي لا تنمو إلاّ حيث نكران الذات والتضحية بها، وبذلها حتى الموت.

إهتم بخيرها (بخيره) الروحي:

الزوج الذي يُحبّ زوجته طبقاً لما جاء في الكتاب المُقدَّس وتعليم الكنيسة، إنَّما يهتمّ أولاً بحاجاتها الروحية، فيجعلها مُتَّصلة بالربِّ إتصالاً وثيقاً، مدركاً أنَّ سعادتها الحقيقية، كامرأة وزجة وأم، يجب أن تُبنى على أساس من العلاقة بيسوع. هكذا لا يكون إنصياعاً ورعاً لحاجة دينية، أو تَطلُّعاً روحياً. بل هو إعتراف علمي تام بالمكانة الأولى ليسوع المسيح في حياتها وسلطانه المطلق.

وإذا كان الربُّ يشترط أن يوَطِّد الزوج علاقة زوجته بالمسيح، أفليس ذلك من دواعي إبتهاج كليهما؟ وكيف يمكن لزوج أن يظهر حُبَّه لزوجته بطريقة أفضل من عمله هذا؟ الواجب الأسمى المُلقى على الزوج المسيحي هو أن يعنى بقداسة زوجته، ومثاله المسيح الذي ضَحّى بنفسه من أجل كنيسته لكي يُطهِّرها ويُقدِّسَها.

لا يكفي الزوج أن يقود الزوجة إلى الحياة المسيحية فتنتهي بذلك مُهمَّته، بل عليه أيضاً أن يبذل كلَّ ما في وسعه ليجعلها أهلاً للحصول على بركة الله الكاملة في الكنيسة. أمّا في البيت فبالصلاة والكلام البنّاء، يُقوّيها في الروح، ويُعزِّز شعورها بكلِّ ما هو سام وسماوي، ويُعمِّق معرفتها المسيحية. وليعلم أنَّ لا أحد يمكنه أن يقف حجر عثرة أمام المرأة في شؤونها الروحية مثله. وأنَّ لا أحد مثله قادر على أن يدفعها إلى التقدم نحو الصلاح. فلعلَّها تكون أقلّ ثقافة منه فيما يتعلَّق بالأمور الدينية، أو أقلّ روحية منه فيما يخصّ الحياة المسيحية، أو أنَّها لم تختبر بالكنيسة بعد مثله طريق الخلاص. على الزوج ألاّ تهن عزيمته وألاّ يَتسرَّب اليأس إلى قلبه وألاّ تخالجه ريبة بزوجته، بل عليه أن يَتمسَّك بالصلاح بمنتهى الحزم واللطف، لأنَّ الله بواسطتهينير قلب زوجته ويُغيِّر رأيها ويرشدها إلى الطريق القويم. وليقل في نفسه: إنّي منتدب

لأباركها، لا لأسعدها في هذه الدنيا فحسب، بل لأُضحّي بـــذاتي مـــن أجـــل خيرها الدائم. وواجبي أن أُحبَّها كما أحبَّ المسيح كنيسته.

إنَّ زوجاً يمارس بجدٍّ دوره في نظام للعائلة لا يكتفي بأن يوكل أمره معها إلى يسوع، فيتملَّص من مسؤوليته قائلاً بورع: تلك علاقة بينها وبين الله. بل عليه أن يدرك ما دعاه الله إليه ليكون رأساً روحياً لزوجته. فكما أنَّ المســيح مسؤول عن العناية بالكنيسة ونموّها، كذلك الـــزوج مســـؤول عـــن العنايـــة الروحية بزوجته والعائلة وبنموها.

أُسلك طريق الصليب أمامها (أمامه):

كيف يمارس الزوج هذه المسؤولية؟ هل يفرضها على زوجته فرضاً؟ هل يُلقي عليها محاضرات حول الحياة الروحية ومبادئهـــا؟ كلا، بـــل يمـــارس مسؤوليته بالتضحية بذاته من أجل زوجته. وهذا يعني أنّه يمشي أمامها فـــي طريق الصليب. فيعطي المثل لمعنى التضحية بذاته. وهـــو يفعـــل ذلـــك لا لتقديس ذاته فحسب، بل لمصلحة زوجته ولفائدتها الروحية.

كان موسى من أعظم القادة قاطبة. وقد أولاه الله سلطة كبيرة ومـــع ذلـــك كان في نظر الكتاب المُقدَّس "حَلِيماً جِدّاً أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعَ النَّاسِ الَّضينَ عَلَـــى وَجِهْ الأَرْضِ" (العدد 12/3). ولمّا ثار عليه شعب إسرائيل، هرب إلى الخباء والتمس العون من الله. فعاقب الله عندئذ الثاشرين (العدد 12/10، 16/33). ولكن لمّا حاول موسى أن يتعامل مع الشعب بقوته، صابّاً جام غضبه عليهم، عاقبه الله بأقصى الصرامة، حتى أنَّه حرمه إمتيازه الخاصّ بقيادة إســـرائيل إلى أرض الموعد (العدد 20/2-12).

إنَّ السلطة التي يمارسها الزوج على زوجته وأولاده ليست سلطته الخاصّة، بل هي سلطة أولاه الله إيّاها، وعليه أن يُمارس بحزم وحكمة معاً، لكن الله هو الذي يوطدها ويصونها "ولَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ. وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ" (1 كورنثس 11/3). فإذا كانت الزوجة لا تخضع لزوجها، فربّما كان مرد ذلك إلى أنَّ الزوج متُمرَّد سرّاً أو علناً على المسيح. فعلى مَن يمارس السلطة أن يكون أول الخاضعين. وعلى الرجل المتُمرَّدة عائلته عليه، أن يمعن النظر في علاقته بالمسيح، صاحب السلطة عليه.

لذا عندما يقول الكتاب المُقدَّس: "أيُّها الرجال، أحبّوا نساءكم"، فمعنى قوله هذا أبعد بكثير ممّا ينبغي للزوج أن يضمر لزوجته من شغف وود. إنّه يعني أنَّ من واجبه أن يموت من أجلها، كما مات المسيح من أجل الكنيسة.

كن متواضعاً في ممارسة سلطتكَ (كِ):

إنَّ السلطة المعطاة للزوج يجب أن تُصان، ولكن ينبغي ألاّ يشعر الزوج بأنَّها حقّ له، بل واجب عليه، وألاّ يخطر بباله السلطان الموكل إليه، من دون أن يَتذكَّر ما يلقيه عليه من مسؤولية. ويجب أن يكون موافقاً لإرادته، لأنَّ المسؤولية في ذلك تقع عليه. ويجب ألاّ يتغاضى عن هذه المسؤولية أو أن يضعف فيحاول الإعراض عنها، لأنَّ ذلك مستحيل.

كتبت إحدى الزوجات تقول: "لا تَتخلّوا عن دوركم القيادي، فهذا هو الأهم. ولا تُسلّمونا الزمام لأنَّنا نعتبر ذلك تنازلاً منكم. إنَّه يربكنا ويهولنا ويحملنا على التخاذل. إنَّه، وبأسرع من لمح البصر، يعطل الدافع الذي حملنا أولاً على حبِّكم. لكن، للأسف، سوف نحاول التغلُّب عليكم لكي نتزع منكم المرتبة

الأولى في البيت. ذلك هو التناقض الرهيب في ذواتنا. سنتظاهر بأنَّنا نحاربكم بلا هوادة لانتزاع هذه السلطة، ولكنَّنا في أعماق قلوبنا نودّ أن تحوزوا النصر. بل يجب أن تنتصروا لأنَّنا لم نخلق لتولي القيادة، فموقفنا هذا موقف مفتعل".

ينبغي للزوجة أن تنظر باحترام إلى مجال عمل زوجها وسلطته. وعلى الزوج ألاّ يحتقر جهد زوجته المتواضع. ومن الإجحاف الشديد أن يَتوهَّم أنَّ ما يجب عليها عمله هو من توافه الأمور. ولَيَتذكَّر أنَّه ليس مُلزماً بأن يعول زوجته فحسب، بل هو مُلزَم أيضاً بأن يُعزّيها ويراعي مشاعرها برقة. فإذا حطَّ من قدر عملها ومسؤوليتها سبَّبَ لها أذى شديداً ليس من السهل تداركه.

في سفر الأمثال وصف للزوجة الفضلة: "إنَّ ثَمَنَهَا يَفُوقُ الآلِىء.... زَوْجُهَا أَيْضاً فَيَمْدَحُهَا. بَنَاتٌ كَثِيرَاتٌ عَمِلْنَ فَضْلاً، أَمَّا أَنْتِ فَفُقْتِ عَلَيْهِنَّ جَمِيعاً" (أمثال 31/10 و 28 و 29).

أيُّها الزوج، أيّتها الزوجة:

اعتبر زوجتك كنزاً وهبك إيّاه الله. أحبها، أكرمها،إعتراف بمواهبها، قدّر جهودها، إحترم مشاعرها. عَبَّر بحنو وإخلاص عن حبَّك لها كلَّ يوم بأيَّ شكلٍ من الأشكال. إنَّ هذا الفيتامين اليومي المُشجِّع سوف يجعل من حياتك الزوجية مكافأة أكبر لزوجتك ولك.

"أَيُّهَا الرَّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ، وَلا تَكُونُوا قُسَاةً عَلَيْهِنَّ" (كولسي 3/19). في هذه الكلمات يذكر الرسول بولس شائبة واحدة في الأزواج تفوق سائر الشوائب وهي: القسوة. فالقسوة تقوض أركان أفضل زواج يبدو راسخاً كالصخر. فالزوج يعتمد كثيراً على ما يكنّه من إخلاص وهو غير مبالٍ

بأسلوبه في التعبير عن الشؤون الصغيرة، ويسمح لنفسه بأن يكون عديم المبالاة حيث يجب أن يبدي أعظم الرقة والاحترام. إنَّه يَتصرَّف مع جميع الغرباء مُظهراً الاحترام، ويرتدي من أجلهم أحسن ملابسه، أمّا في البيت، فهو رجل آخر تماماً. على أنَّه من الأفضل أن يسيء إلى المرأة التي منحته ذاتها بكليَّتها. بل من واجبه أن يبهج قلبها كلّ يوم، وأن يستمرَّ في شدَّها إليه باهتمامه الحنون وتَصرُّفه النبيل. فإذا كانت لديه أسباب لعدم الرضى، فليفصح عنها في خلوة بينهما بعيداً عن مسَّ مشاعرها. فكلُّ لوم في حضور الأولاد، وكلُّ تَذمُّر أمام الغرباء، هو ألم مرير لزوجته. زد على ذلك أنَّ عمله هذا يقلّ من كرامته.

عندما يطلب الكتاب المُقدَّس أن تُعامل الزوجة بلطف وإحترام لكونها شريكة في ميراث نعمة الحياة، يضيف هذا الإنكار لكي لا تُعاق صلواتكم (1 بطرس 3/7).

إنَّ مشاعر الزوجة وكرامتها قد تُصاب بجرحٍ خفي يُسبَّبه الزوج بتصرُّفه الفظّ أحياناً ولعدم الاهتمام بأحزان زوجته وبالدفاع عنها، فعندما يُصلّي الزوج لا ترتفع صلاته إلى السماء.

لقد حال شيء بينه وبين الله، يمنعه من الاقتراب إلى عرش النعمة. هذا لا شيء هو حزن زوجته الذي كان هو سببه. والله يغلق قلبه دونه لأنَّه أغلق قلبه دونها. فكما عامل تلك التي وضُعت تحت سلطته، كذلك يعامله الله. إنَّه لا يستطيع أن يتصالح مع الله إلاّ بعد أن يكون قد تصالح مع زوجته وشريكة حياته التي أساء إليها.

إنَّ سلطة الزوج على زوجته، سلطة فرضها الله، سلطة روحية، ولذا فمبدأها العملي المتأصِّل في المثل الذي ضربه يسوع بغسل أقدام تلاميذه، ثمَّ

في آخر المطاف بموته على الصليب، فمن شاء أن يمارس السلطة الروحية، يجب أن يكون خادماً للجميع.

أيُها الأزواج، أحبّوا زوجاتكم... فيزهر الحبُّ في بيتكم

الزواج
إختيار للمشاركة

يُمكننا تسمية سرّ الزواج بسرِّ الحياة. فالزواج هو عنصر الحياة البشرية الأساسي، بحيث إختاره الربّ ليكون حاضراً بشكلٍ أكثر واقعية. والزواج هو مصدر فرح وقداسة في الكنيسة. إذ في الزواج يُدعى الربّ ليبارك ويُقدِّس.

الزواجُ سرُّ الحبِّ المُقدَّس:

تعتبر الكنيسة، في لاهوتها عن الأسرار، أنَّ الله نفسه قد أسَّس سرّ الزواج حين خلق الإنسان رجلاً وامرأة ووضعهما في الفردوس (تكوين 1/26–28). وأنَّ المسيح، هو أيضاً بدوره، قد رفع الزواج إلى مرتبة سرٍّ مقدَّس بحضوره عُرساً في قانا الجليل (يوحنا 2/1–12). ولكنَّ الزواج هو بالأساس علاقة طبيعية، وإجتماعيّة، لكنَّها تأخذ في المسيحية بُعداً مُقدَّساً نسمِّيه ''سرّ الزواج''.

نبذة تاريخيّة عن سرّ الزواج:

لم يأخذ الزواج عند المسيحيين مفهومه الأسراريّ الواضح قبل القرن الثالث عشر. حيث اعتبر مجمع ليون المنعقد عام/1274، بأنَّ الزواج هو سرّ كبقية الأسرار. ففي القرون الأولى للمسيحية كان الزواج عهداً بين رجل وامرأة للعيش المشترك، يُقطع ويُبرَم أمام المجتمع والعائلة، وفقاً لعادات وقوانين معروفة آنذاك. وكان الأسقف أو الكاهن، وهو أحد أفراد العائلة

الكبيرة (جماعة المسيحيين) (الكنيسة)، يُدعى بشكلٍ تلقائي إلى حضور مراسيم الزواج هذه. ولأنَّه رجل خدمة الإيمان، يُهنّئ العروسين بطريقته، أي يُباركهما بطقسٍ في غاية البساطة، وربّما بشكلٍ مُرتَجَل. ولقد أخذت هذه البركة عُمقَها وضرورتها منذ العصر الرسوليّ للكنيسة. إذ يقول القديس اغناطيوس الأنطاكي (القرن الثاني): ''على الرجال والنساء الذين تَزوَّجوا أن يكون إتّحادهم على يد الأسقف، حتى يكون زواجهم بحسب مشيئة الربّ لا حسب الرغبة''. ومع مرور الزمن تطوَّرت هذه البركة لتأخذ شكل رتبة طقسيّة، يرجع أقدم نصٍّ كامل لها إلى القرن السابع. ومع هذا التطوّر نشأ ونما لاهوت هذا السرّ، وإرتبط بقوانين تُنظِّم وتُحافظ على قدسيَّتِه ووحدته وديمومته، أعني عدم إنحلاله، الخاصّتان الجوهريتان في الزواج المسيحي.

المعاني اللاهوتية لسرِّ الزواج:

1- الزواج حقيقة طبيعيّة وحضاريّة:

إنَّه لمجرَّد وجود إختلاف في الجنس (ذكر وأنثى). هذا يعني أنَّ النوع الواحد من كلِّ خليقة، هو بحدِّ ذاته مشروع لقاء وتزاوج (تكوين 6/19). ولكن، ما يُميِّز هذا اللقاء عند البشر هو الهدف والغاية. فالأحياء الأخرى تتزاوج بحركة طبيعيّة خاضعة لنظامٍ تناسلي، يختلف من نوعٍ لآخر، بهدف إستمرار وجودها وتطوّره. أمّا عند الإنسان، وهو هدف الله، إذ خلقه على صورته ومثاله حبّاً به. عليه فكلّ حركات الطبيعة تأخذ معانٍ إنسانية منسجمة مع كونه هدف الله المحبوب. وبالتالي، لا يكون الزواج عند الإنسان هو فقط بغية التناسل وإستمرار النوع، بل هو لقاء شخصين مُتحابَّين ومتعاونين، يُكوِّنان خلية في مجتمع يسير نحو النموّ والتطوّر مُسيطِراً على الخليقة

بأسرها (تكوين 1/28). لقد عَبَّرت الثقافات في كلِّ مكانٍ وزمان عن هذا اللقاء بالطقوس والعهود والرموز. وكأنَّها أضفت معنى إنسانيّاً خاصّاً على حقيقةٍ طبيعيّة. فالعلاقات الجنسيّة بين البشر ترتقي على كونها فعل بيولوجي وحسب. إذ أنَّ تنظيم الجنس يُميِّز الإنسان عن بقيّة الأحياء. فالحبّ يُحرِّر الإنسان ويجعله فريداً بين سائر الكائنات، وكأنَّ علامة رقيّ مجتمع ما وتَحضُّره هي إنسانية العلاقة بين الجنسين فيه. لذلك يُمكننا إعتبار سرّ الزواج في المسيحية هو تكريس مُقدَّس لحقيقة إنسانية وحضارية.

2- الحبّ البشري صورة لكيان ''اللّه- المحبّة'' (1يو 4/16):

يُدهشنا الكتاب المُقدَّس بنظرته الفريدة إلى الإنسان. فكما أنَّ الله هو كيان حبّ، كذلك الإنسان مدعو ليكون شركة حبّ. ''لقد خلق الله الإنسان على صورته ومثاله. على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم'' (تكوين 1/27). فصورة الله، يقول الآباء، لا تَتحقَّق في الإنسان الفرد، إنَّما في الإنسان من حيث أنَّه يحيا المشاركة. وتبلغ هذه المشاركة أَجَلَّى صُوَرِها في سرِّ الزواج. إنَّ الله ليس كيان عزلة، بل ''شركة ثالوث محبّة''، وقد خلق الإنسان شبيهاً به، ''شركة محبّة''. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: ''عندما يَتَّحِد الزوج والزوجة في الزواج لا يظهران بعد كشيءٍ أرضي، بل كصورة الله نفسه''. فالدعوة إلى الوحدة هي بالأساس من ذات كيان الإنسان، ولقد عبَّر الكتاب المُقدَّس بأُسلوبه الفني الرائع عن هذه الحقيقة.

إنَّ إتِّحاد الرجل والمرأة هو عودة لحقيقة الإنسان الأولى، والهدف الذي من أجله خُلق. لأنَّ الخطيئة لم تفصل الإنسان عن الله خالقه وحسب، بل

أيضاً فصلته عن أخيه الإنسان، فصلته عن الآخر شريكه (تكوين 3/12).

3- الزواج صورةُ حبِّ الله للإنسان:

كثيراً ما يُشبِّه الكتاب المُقدَّس حبّ الله للإنسان بعلاقة الزواج والحبّ والعرس. لذلك يمكننا أن نتأمَّل، من خلال هذه التشابيه، صورة الزواج في مشيئة الله. فالحبيبان في نشيد الأناشيد يسيران في حركةِ بحثٍ وإكتشاف الواحد للآخر (3/2). إنَّ الحبّ في المسيحية هو خروج من الأنانيّة نحو إبراز جمالات الآخر وعذوبته. فالمحبوب، مهما يكن، هو هدية الله الفريدة، إنَّه كنز ثمينٌ جدّاً، نحتاج كلَّ يوم التأمّل في سرِّ عظمته. وتظهر في كتب الأنبياء الدعوة للأمانة الزوجية بكلِّ أبعادها، إنَّها كأمانة الله، الزوج الأمين لشعبه، رغم خيانات هذا الشعب (هوشع 2/4). فالحبُّ يُطهِّر وينقّي (حزقيال 16/1-63). ولعلَّ أجمل هذه التشابيه هي لبولس الرسول، الذي يدعو أن يكون الحبُّ بين الزوجين كحبِّ المسيح للكنيسة (آفسس 5/ 25-32)، فقمّة الحبّ هو أن يفتدي الإنسان ذاته في سبيل مَن يُحبّ (يوحنا 15/13). ولقد شبَّه المسيح أيضاً الملكوت بالعرس (متى 25/1-13)، ولعلَّ بهذا التشبيه يدعو كلَّ زوجين أن يتذوّقا من خلال فرح الزواج عذوبة الملكوت، فيُطلقا حبَّهما إنتظاراً وترقباً لاكتماله.

4- سرُّ الزواج... فصحُ الحبِّ:

يُدعى الربّ وتلاميذُه الى عرس في قانا الجليل بدعوة مريم أمّه (يوحنا 2/1-12). عندما يقرأ الآباء القديسون في مطلع هذا النص عبارة ''وفي اليوم الثالث''، يَشمّون رائحة الفصح فيه، حيث مات يسوع وقام من بين

الأموات بعد اليوم الثالث من موته.

حين يجفُّ الحبُّ يشحُّ الفرح، وغياب الفرح كحقيقة الموت، كنفاذ الخمر في عرس قانا الجليل. ولكنَّ حضور الربِّ يمنح الرجاء، وبطلب مريم أمّه تتحوَّل الماء لتصبح خمراً أطيب وألذّ ممّا كان عليه. التحوُّل هو عبور الشيء الى شيءٍ آخر، قد يحمل في ذاته عناصر وجوده الأول، ولكنّه حتماً يختلف عمّا كان. وهذا ما حصل في عرس قانا الجليل، كما في كلِّ عرس، إذ يُحوِّل الربُّ الزواجَ من مجرَّد فعل طبيعي، كالماء في الطبيعة، أو تقليديّ كماء قانا الجليل ''الموضوع لاستعمال الطهارة عند اليهود''، أو حتى حضاري كالمراسيم والقوانين والطقوس الزفافيّة عند الشعوب، إلى ''سرٍّ مقدَّسٍ للحبّ''، أطيب وألذّ، كحقيقة يسوع بعد قيامته، كحقيقة الأسرار كلِّها، كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: إنَّ الحبّ والزواج بين البشر هما حقيقة فرح ونشوة، ولكنَّها تنتهي وتجفّ كإيقاع الحياة الرتيب، المُهدَّد بالفشل والإخفاق بسبب الصعوبات والمحن، عندئذٍ يمكن أن يصبح ''الزواج مقبرة الحبّ''. ولكن، هل يبقى الربُّ في موت؟!.. وهو ''الشخص الثالث'' في سرِّ الزواج، لأنَّه إذا إجتمع إثنان باسمه يكون بينهما، فلا يصحّ زواجٌ في المسيحية إلاّ بدعوة الربّ إليه. والربّ، وهو القائم من الموت، لا يحضر إلا ويحوِّل مظاهر الموت إلى حياة عذبة، كخمرة قانا الجديدة الأكثر عذوبةً من الأولى. هنا تكمن حقيقة ''السرّ'' في المسيحية، وقد إختبر ذلك كلّ مَن إجتمع باسم الربّ (لوقا 24/ 13-35).

لابدَّ في تأمّلنا هذا النصّ الإنجيلي أن نلاحظ أيضاً، إنتباه مريم لمشاكل هذه العائلة الناشئة. وطاعة الخدّام ومساهمتهم مع يسوع في عبور العرس من الأزمة إلى الفرح الوفير. وأيضاً إلى شهادة وكيل المائدة لفيضان العذوبة

في هذا ''السرّ''. وينتهي النص بأنَّها ''الآية الأولى''، لَعلَّها تدشين جديد للإنسان الجديد، ولكن في صورته المتكاملة هذه المرّة: الإنسان العائلة، صورة الله الكاملة.

5- أبديّة الزواج إستباق للأبديّة:

يقول الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه (1844–1900م): ''إنَّ كلّ حقيقة ليست أبديّة لا قيمة لها حتى لو استمرّت مليون سنة''. فإذا كان الحبّ بين شاب وشابة قد بلغ الحقيقة لا بدَّ له أن يسير نحو عهد يُحقّق الاستمرار والفرادة لهذه العاطفة، وإلاّ يكون الباطل فيها قد غلب الحقّ. وفي المسيحية نؤمن أنَّ ''ما جمعه الله لا يُفرقه إنسان'' (مرقس 10/2–12). فالزواج عهدٌ أبديّ لا طلاق فيه وتَعَدُّد؛ وإذا اختبرت بعض الجماعات الكنسيّة أو الكنائس غير ذلك، فهو إمّا باطلٌ بالأساس أو ''تدبيرُ كنسيّ''، عَهِدَ به الربّ للكنيسة للتعامل مع ''قساوة قلوب البعض'' (متى 19/8).

إنَّ أبديّة الزواج التي يُدشِّنها العروسان في رتبة الإكليل هي تذكير بأبدية الملكوت، لا بل تذوُّقٌ سابق لها، هذا ما يرمز إليه وضع الإكليل على الرؤوس، إنَّه علامة الملكوت، وكأنَّ العروسين في هذا السرّ المُقدَّس ينطلقان للعيش في حقيقة الله الأبديّة. لذلك يصبح الحبّ دواء الأنانيّة، فهو مصالحة مزدوجة، مع الله ومع الآخر، وبذلك تصبح ''العائلة كنيسة''، والكنيسة ما هي إلاّ صورة أرضيّة للملكوت. وبما أنَّها جماعة مُنفتحة، لذلك يُركِّز لاهوت الزواج فيها على فيض الحبّ بإنجاب الأولاد تأكيداً على حضور الأبدية في مشاركة الله في عمل الخلق والنمو والرعاية والاستمرار. ويمثِّل الزوجان صورة أبوَّة الله وأمومته، صورة الحبّ المُطلَق، صورة الحبّ المستمر،

المجانيّ، وكأنَّ الأولاد يقولون لحبِّ أبويهما: نحن علامة الاستمرار لهذا الحبّ الذي يبقى إلى الأبد، وبالمقابل يتذوَّق الأبوان من خلالهم علامة من علامات الأبدية المنفتحة وقد دشَّنوها معاً، ومُجدَّداً بسرّ الزواج المقدَّس.

تتميَّز المسيحية بالمحبّة، إنَّ الله محبّة، يقول الرب: ''ويعرف الناس جميعاً أنَّكم تلاميذي إذا أحبَّ بعضكم بعضاً'' (يوحنا 13/35). والزواج عندنا هو صورة نموذجية لعيش هذه المحبّة. حيث يعيش الرب في هذه ''الكنيسة البيتيّة'' التي منها تتكوّن الكنيسة الجامعة. فبقدر ما تكون العائلة كنيسة تصبح بالتالي الكنيسة عائلة، وبالتالي يصبح الزواج المسيحي خميرة محبّة للعالم يُعلِن دائماً سرّ الله المحبّة.

الزواج المسيحي
طريق إلى الله

لن أتكلّم في هذه الصفحات عن النواحي القانونية لهذا السرّ العظيم. إذ كتبتُ عن ذلك كثيراً. إنّ ما أريد أن أكتب عنه هنا، هو شيء خاصّ يتعلّق بروحانية سرّ الزواج، عسى ولعلّ يكمل هذا الجانب المهمّ والأساسي من السرّ ما هو متعلّق بالجانب القانوني منه وبالجوانب الأخرى. وليصل القاريء الكريم إلى أن يكوّن له رؤية شاملة لكلّ ما له علاقة بالزواج ويمسّ هذا السرّ المقدّس، الذي يشمل جوانب الحياة كلّها. إذ هو فعل شركة حياة ومقاسمتها بين إثنين.

عندما نقول سرّ، لا نعني به الشيء الذي نريده أن يبقى خفياً أو مغموراً وغير معلن. لكننا نقصد شيء معناه يتخطانا، شيء يتجاوز معناه الظاهري، شيء أكبر من قدرتنا على استيعابه. تماماً مثل نور الشمعة الذي نراه ونحصر بأعيننا كمية الضوء المنبثقة منه، لكننا نغمض عيوننا عند رؤية ضوءً كبيراً جداً، السبب، لأنّه أصبح هناك ضوء أكثر من طاقتنا على استيعابه. هذا يعني بأنّنا نحن ندخل إلى السرّ لنغرف منه، لا لنسيطر عليه.

سرُّ الزواج:

لنعد قليلاً إلى الوراء، وبالتحديد إلى قصة الخلق (تكوين 2/21-24). فإذا كان سرّ المعمودية والتثبيت والأسرار الأخرى، أسَّسها الربّ يسوع، لكن

سرّ الزواج أسَّسه الله الآب نفسه، حيث من وقت الخلق تمّ وضع مشروع وهيكلية الزواج، فقط مع يسوع تمّ رفعه إلى مستوى السرّ وأكمله.

أوّل حفلة زواج في التاريخ:

عندما نقرأ الفصل الأول من سفر التكوين، سنلاحظ التراتبية في خلق العالم، إذ عمل الربّ أولاً إطاراً زيَّنه بمخلوقاته، وعلى قمّة الهرم وضع الإنسان. كان الربّ كلّ يوم ينظر ويرى أنّ هذا حسن، ولمّا خلق الإنسان رأى أنّه حسن جداً، لأنّه طبع عليه صورته ومثاله. ذكراً وأنثى خلقه، ليلتقيا، ويكتمل الإنسان وتَكمُل صورة الله.

الربّ خلق الإنسان ليس عن حاجة إليه، خلقه عن حبٍّ لأنّ جوهره حبّ. خلقه بفعل حبّ، ولأنّه كذلك فعلى صورة مَن هو الحبّ يدعونا إلى الحبّ. يدعونا أن نُحبّ فتتجسَّد صورة العائلة الثالوثية. هنا نعي أول مشكلة، فهل تُجسِّد عائلاتنا صورة العائلة الثالوثية في حياتها؟ وكم عددها اليوم؟ وهل عائلاتنا المسيحية هي على وعي بوجوب تحقيق هذا المشروع؟

بارك الله هذا الإنسان، ذكراً وأنثى وقال لهما انجبا واكثرا واملآ الأرض. إذن، البركة تسبق فعل المشاركة بالخلق. باركهما وقال لهما انميا واكثرا، وهذا يعني بركة من فوق، من الله، تُوجِّه علاقة الانسان وتضعها في إطارها الصحيح. إنّه حقاً لمشروع رائع.

جاء المخرِّب، أتت الحيَّة وأغوت حواء، جاء الكذّاب بل أبو الكذب، عَملُه زرع الشكّ والغيرة وهدفه تحقيق الشهوة. الخطيئة أفسدت المشروع لكن لم تعطّله. فمشروع الله لا يتعطّل. ورغم الخطيئة ظلّ الزواج أحلى صورة يُعبِّر عن علاقة الله بالشعب.

يتكلَّم الأنبياء عن علاقة الله مع شعبه فيقولون هذا هو (الله، الزوج، العرّيس) الأمين وهي (الشعب، العروسة، الزوجة) التي تخون مع آلهة أخرى (حزقيال/16). كتب هوشع معاناته الشخصية مع زوجته الخائنة وربطها بمعاناة شعبه، إذ شعبه كان يخون العهد وزوجته أيضاً، وكتب عن مكان اللّقاء الأول وسرَّه. حيث نعرف بأنّ المكان الذي يتمّ فيه اللقاء الأول يكون له سحره الخاصّ. مثلاً في علاقتنا مع الله، كلّ مرة تتهدَّد العلاقة نعود إلى مكان الحبّ الأول، نعود إلى صحرائنا الداخلية.

كانت صورة الزواج، علاقة الله مع شعبه، ظِلٌّ للزواج المثالي، الذي سيتحقّق من خلال علاقة المسيح بعروسته الكنيسة، كانت هي المقدمة لمجيء الربّ يسوع ولتبنّي سرّ الزواج من قبل الربّ يسوع، عندما يقول أنّ الزوجين هما علامة منظورة لحبّ الله الغير المنظور، هما تجسيد حبّي للكنيسة وأمانتي، وحبّ وأمانة الكنيسة لي. الأمانة عمل صعب إذا رفض الزوجان أن يكون المسيح ثالثهما. لكن ينجحان إذا كان المسيح الشخص الثالث والقاسم المشترك بينهما.

الزواج المثالي في العهد الجديد:

لا يوجد نصّ في العهد الجديد يذكر بأنّ تأسيس الزواج تمّ في العهد الجديد. لكن فيه رُفِعَ إلى مستوى السرّ. هذا ما تؤكِّده الرسالة إلى أهل آفسس ''أيّتها النساء اخضعن لأزواجكنّ... أيّها الرجال احبوا نساءكم مثلما أحبَّ المسيح الكنيسة وضحَّى بنفسه من أجلها...'' (22/5–32). هذا يعني، إذا أحبَّها فهو سيُصلَب من أجلها، ولا يجب أن ننسى الآية المفتاح لقراءة النصّ (الآية 21): ''ليخضع بعضكم لبعض بمخافة المسيح''. إنّ الآية موجَّهة إلى

كليهما، الأزواج والزوجات، والخضوع متبادل. ومثل المسيح والكنيسة ''أحبَّها وبذل نفسه من أجلها''. الحبّ الحقيقي، وعلامة الحبّ المسيحي هو الصليب. عليه يجب أن لا تأخذنا العواطف، فالحبّ الحقيقي هو الذي يُعمَّذ ويتكرَّس بصليب الربّ يسوع، الذي فيه أراد أن يُعبِّر عن أقصى درجات الحبّ لكنيسته، لنا، لشعب العهد الجديد.

صفاتُ حبِّ الزوجين

1- حبّ فريد وخاصّ:

يعني لمّا أختار شريك حياتي، أختاره دون سواه، وأختاره إلى الأبد، ومدى العمر.

2- حبّ فدائي:

هناك علاقة وثيقة بين سرّ الأوخارستيا وسرّ الزواج بناءً على معاني الحبّ الحقيقي الذي يطلب بذل الذات من أجل الآخر. ففي الأوخارستيا يوم خميس الأسرار، يوم يتناول الربّ الفصح مع تلاميذه، يعطي المسيح حياته تحت شكل الخبز والخمر من أجل الكثيرين، ويُجسِّد ذلك واقعياً يوم جمعة المحبة، حيث يُقدِّم المسيح حياته من أجل سعادة الآخر، خلاص الإنسان، الكنيسة، العالم ''هكذا أحبَّ الله العالم حتى وهب إبنه الوحيد، فلا يهلك كلّ من يؤمن به، بل يكون له الحياة الأبدية. والله أرسل إبنه غلى العالم لا ليدين العالم، بل ليخلِّص به العالم '' (يوحنا 3/16–17). في سرّ الزواج ذات الحبّ، إلى حدّ بذل الذات، لكي يُسعَد الآخر، يُطلب تبادله بين الطرفين ''أيّها الرجال أحبّوا نساءكم مثلما أحبَّ المسيح الكنيسة وضحَّى بنفسه من أجلها''

(آفسس 5/25-26). ففي سرّ الأوخارستيا هناك المسيح يفدي نفسه من أجل البشر لكي يكون لهم الحياة الأبدية، وفي سرّ الزواج، على الزوجين أن يحبّا الواحد الآخر حتى فداء الذات من أجل أن يحيا الآخر.

3- حبّ مجانيّ:

هذا هو حبّ الزوجين، صورة من حبّ الله لنا، حبّ بلا حدود، بلا شروط، مجاني. حبّ يصل إلى درجة بذل الذات. أحبّك ليس لأني أنتظر شيئاً منك (يوحنا 15/13). عليه إنّ شركة حياة الزوجين، لا يجب أن تكون فقط تواجداً معاً أو تمتّعاً بقدر الإمكان بطيبات الحياة وملذاتها. إنّما أن تكون سعياً حثيثاً ومستمراً إلى إسعاد الآخر والعمل على إنماءه. وهذا لا يتحقق دون إزالة كلّ ما من شأنه أن يعيق انفتاح الواحد على الثاني، وبشكل خاصّ أن يكون لكلّ طرف الاستعداد الجدّي للخدمة، المجانية. هذه الخدمة التي تعني في نظر المؤمن شيئاً نبيلاً وسامياً. أوَلَيست ''الخدمة'' ''المجانية'' الكلمة المفتاح في الإنجيل؟

أهداف الزواج:

1- خير الزوجين: بدأت حركة روحانية الزواج بالمجمع الفاتيكاني/2، فصارت غاية الزواج الأولى نمو الزوجين بالحبّ، ثمّ إنجاب البنين ليس جسدياً فقط. فقيمة الإنسان أولاً أن يعيش كإنسان بالقيم الإنسانية وثمّ حسب الروح ولادة ثانية ليصير من أبناء الله.

2- نعمة التكامل: الزوج + الزوجة= غير كاملين وليس زوجين مثاليين. إذ إلتقيا فأضيفت الأخطاء على بعضها والحسنات على بعضها. إلتقيا

بنقائصهما وهما بحاجة للتكامل. فبنعمة التكامل يُصفّى الحبّ من كل ما يشوّهه.

3- نعمة العبور: أي الإنتقال من الأنا إلى النحن. إنّ التحوّل من الأنا إلى النحن يتطلّب موتاً. وهذا لا يصير إلاّ بنعمة العبور من قِبَل الربّ.

الخلاصة:

بالزواج المسيحي، الغاية هي الوصول إلى الربّ، صار الزواج مع يسوع طريق قداسة. فيما مضى كان يُقال بأنّ القداسة هي من نصيب المُكرَّسين والمكرَّسات فقط. أمّا اليوم فحسب مفهوم الكنيسة، الزواج أيضاً هو طريق آخر للقداسة. فيصبح شريك الحياة طريقك إلى الله، وعليك تأدية الحساب إذا وصلت بدونه، أين الأمانة التي تسلَّمتها؟ أخيراً يبقى أن نقول أنّه إذا كان الزواج طريقاً توصل إلى الربّ، فهذا ليس ممكناً إذا أغلق الإثنان على أنفسهما واكتفيا ببعضهما البعض، لأنّهم إذا أغلقا، يموتان لا محال.

أسئلة لتأمُّل الزوجين: كيف نحقق قداستنا بالزواج؟ هل الآخر طريق لي يوصلني إلى الله؟ وهل هو أمانة في عنقي لأوصله إلى الله؟

الزواج المسيحي
طريق للخلاص الأبدي

ليسأل الشباب، الشابات الراغبون بالزواج أنفسهم، ما هو الأساس الذي سنبني عليه حياتنا الزوجية كمؤمنين مسيحيين؟ بأيّ روح يجب أن نتقدّم لنقبل سرّ من أسرار الكنيسة التي أسَّسها الربّ يسوع؟

ليسأل المتزوّجون من المؤمنين المسيحيين لماذا تزوّجنا؟ ماذا كانت دوافع زواجنا؟ الآن، كيف يجب أن نعيش شركة حياتنا الزوجية؟ ما هي الغايات التي تمنينا أن نحققها في زواجنا؟ ما هي رسالتنا في الحياة، كعائلة مسيحية تعيش بين عائلات أخرى، لربما غير مسيحية؟

فهل يكون أساس الزواج والحياة الزوجية هو الإعجاب بشريك حياتنا فقط؟ أم عاطفة جيّاشة نحوه؟ أم حبّ حواس وغرائز فقط، وبالتالي لن يكون الزواج سوى مؤسَّسة لدعارة شرعية؟ أم حبّ معقول (حبّ يحكمه العقل)؟ تعال إذن أيّها القاريء الكريم: لنفكر ونتأمّل معاً بنعمة وإرشاد الروح القدس، ولنُحدِّد على أيّ أساس نبني زواجنا. إنّ الأساس الذي نقيم عليه البناء، لا فقط هو ما يحمي حياتنا الزوجية من عواصف العالم، بل نفسه سيكون لنا طريق قداسة ووسيلة لاقتناء الحياة الأبدية والخلاص.

ما هي العاطفة؟

تُعرَّف العاطفة من الناحية العلمية على أنّها إتّجاه وجداني نحو موضوع مُعيَّن، مُكتَسب بالخبرات والتعليم. وهنا نُوجّه السؤال إلى أنفسنا:

إلى مَن تتّجه مشاعرنا؟ وحينما تُراجع ذاتَك اطرح السؤال التالي: مَن هو الإنسان الذى تفرح لرؤيته؟ تحزن لمرضه؟ تقلق لغيابه؟ تسرّ بصحبته؟ تضيق وتحزن لآلامه؟ تبتهج وتفرح بنجاحه؟ مُستعدّ أن تُقدِّم بعض التنازلات من أجل أن تحتفظ بعلاقتك به؟ دون شكّ، إنَّ تَجمُّع هذه الانفعالات والمشاعر حول محور واحد هو الذى نطلق عليه عاطفة الحبّ.

مظاهر الاعجاب:

من أبرز مظاهر الإعجاب هي:

– تعلّق قلب العاشق بالمعشوق، فلا يفكّر إلاّ فيه، ولا يتكلّم إلاّ عنه، ولا يقوم إلاّ بخدمته، ولا يحبّ إلاّ ما يُحبّ. يطيل مجالسته دون ملل، والحديث معه لأوقات طويلة من دون ضجر ولا مصلحة. ويكثر من تبادل الرسائل ووضع الرسومات والكتابات في الدفاتر والسجلات، في كلّ الأمكنة والأوقات. ويقوم بالدفاع عنه بالكلام وغيره، ويغار عليه، ويماثله في اللّباس، في هيئة المشي، طريقة الكلام والأكل، بل في كلّ شيء. ولو خُيِّر بين رضاه ورضا الله، لاختار رضا معشوقه على رضا ربّه.

– الإفراط في المحبّة، وتتركز فتنته – غالباً – على الشكل والصورة، أو أحياناً إنجذاب مجهول السبب، لكنّه غير مُقيَّد بالحبّ لله، سواء كان المعشوق من الرجال أو النساء. يدّعي بعضهم أنّ ذلك صداقة. لكن ليست ذلك؛ لأنّها صداقة فاسدة؛ وذلك لفساد أساس الحبّ فيها ولعدم إنضباطها.

ما هو الحبّ؟

الحبّ هو الله، لأنّه حينما أراد الله أن يصف نفسه لم يختار سوى هذه الكلمة التي تصف الله بصورة كلية، والتي منها تستطيع أن تُعبِّر عن كلّ

صفات الله وأعماله مع الإنسان، ومن أجل الانسان. ''لأنّ المحبّة من الله. وكلّ محبّ مولود من الله ويعرف الله. ومَن لا يحبّ لم يعرف الله، لأنّ الله محبّة (1يوحنا 4/8). وهل تعرف ماذا يعني الحبّ؟ يعني بأن نعطي كلّ ما لنا، وقتنا، مواهبنا، طاقاتنا، أنفسنا. يعني أن تختفي، تتلاشى، تصغر من أجل أن يبرز، ينمو، يكبر المحبوب!

أن تحبَّ شريك حياتك يعني أن تموتَ من أجله:

بماذا يُوعد الرجل والمرأة بعضهما عندما يتبادلان العهد بالزواج؟ وعدهما هو بأن يعطي الواحد حياته، أن يموت من أجل أن يفرح، يحيا، يخلص الآخر ''هكذا أحبّ الله العالم حتى وهب إبنه الوحيد، فلا يهلك كلّ مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية'' (يوحنا 3/16). هذا هو معنى الحبّ. الحبّ خدمة، تضحية، موت من أجل حياة أفضل للآخر. إنّه إذن ليس فقط بشبك الأيدي في ليالي القمر الجميلة، أو بتبادل النظرات المكهربة، ولا بالأحاسيس الجميلة والموسيقى العذبة. نعم، كلّ هذا جميل وحسن. ولكن ذلك فقط لا يعني مطلقاً ولا يمكن اعتباره بأنّه الحبّ.

إنَّ الحبّ يعني بأنّني سوف أفعل ما هو جيّد لكَ إذا كان سارّ أم لا. الحبّ يعني، أنّي سوف أعتني بك في الأوقات الصعبة، في أوقات الألم والعذاب، في أوقات الشدّة والضيقات. حتى وإذا كان يؤلمني، فسوف أختار ما هو جيّد ومفيد لك. كلّ واحد منا يَحتاج أن يُحِبْ وأن يُحَبْ. وإن لم نُحبّ ونتلقّى الحبّ فإنّنا قد نخيب إنسانيتنا، وهذا ما نلاحظه واضحاً عند بعض الناس عندما يقولون نحن بحاجة للحبّ، نحن بحاجة للحبّ. بالطبع أنت بحاجة للحبّ، وأنا أيضاً بحاجة إليه. لكن ماذا تريد أن تفعل به إذا ملكته؟ هل

تعرف بأن عندما تقول ''أنا أحبّ شريك حياتي''، فإنّ قولك هذا يعني بأنّك مستعدّ لأن تعطي ذاتك من أجله. وهنا نصل إلى الفرق بين المتزوّج والكاهن أو الراهب أو الراهبة الذين لا يتزوّجون، وهل هذا يعني بأنَّهم لا يُحبّون؟ بالطبع لا. إنَّهم مدعوّون لأن يحبّوا كما دُعي المتزوّج تماماً. ولكنّهم يعبّرون فقط عن هذا الحبّ بطريقة أخرى! فما هو الحبّ عندهم؟ هو بأن يعطوا حياتهم أيضاً، أن يموتوا من أجل... لكن لا كما يعطي الزوج لزوجته والزوجة لزوجها ولكن للكنيسة، من أجل الناس الذين يَخدموهم، من أجل أبناء الرعية، من أجل الحقّ، العدالة، السلام، كلّ قيمة سامية، من أجل أن يبقى إسم الله حاضراً في كلّ حدث، في قلب الإنسان والانسانية.

هل هذا يعني بأنَّ الكاهن، الراهب لا يُحبّ ؟ بالطبع لا. ماذا يجب أن يفعل؟ يجب أن يعطي نفسه، لمن؟ للمجتمع. إذ أنّه يقدر أن يفعل أشياء كثيرة جيدة من أجل بناء مجتمع أفضل. ولكي نفهم ما معنى أن نبذل أنفسنا لشريكنا في الزواج، أو لخدمة المجتمع، الكنيسة، الله، يَجب أن نتملَّك أنفسنا.

الله يريد أن يعطينا الحريّة، والحريّة تعنى أن نفعل ما هو صالح وخير، ولا نعطي مبرّرات لكلّ ما نرغب. أيّها القاريء الكريم، إذا تَملّكنا أنفُسنا وسيطرنا عليها بدل من أن تسيطر أحاسيسنا علينا، عندها دون شكّ نصبح أحراراً ونقدر أن نقرّر لمن نريد أن نُظهر حبَّنا، ولمن نريد أن نُعطيه.

مجانيةُ الحبِّ:

الحبّ المُضحّي، الباذل، الفادي، هو أن نعطي أنفسنا بالكليّة للآخر دون إنتظار المقابل عن هذا الحبّ. الحبّ الحقيقي هو ما تحدَّث الرسول بولس عنه في رسالته إلى أهل كورنثوس التي جاء فيها: ''المحبّة تتأنّى

وترفق. المحبّة لا تحسد. المحبّة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتدّ ولا تظنّ السوء ولا تفرح بالإثم، بل تفرح بالحقّ وتحتمل كلّ شيء وتصدّق كلّ شيء وترجو كلّ شيء وتصبر على كلّ شيء. المحبّة لا تسقط أبداً'' (1كورنثس 13/3-8).

فالحبّ الذي نقصده هنا وهذه صفاته لا بدّ أن يكون المسيح مصدره الوحيد، وهو الذي يجب أن يُوحّد الخطيبين في الأفكار، ويؤجّج المشاعر بعواطف طاهرة نقية على مستوى الروح في فترة الخطوبة، ثم بسرّ إلهي خفّي في سرّ الزواج يتّحدَ الخطيبان على مستوى الروح والجسد ليصيراً جسداً واحداً وروحاً واحدة.

كلّ زواج يُبنى فقط على العشق والإعجاب، على الشهوة والغريزة، أو فقط على المال والجاه، هو مُهدَّد آجلاً أم عاجلاً بالفشل، بالموت. نحتاج إذاً ليس الى زواج حبٍّ فقط ولكن إلى زواج حبٍّ معقول، أي أن يتحكّم فيه العقل والإيمان. وأريد بذلك العقل المسيحي، ماذا يعني هذا؟ هذا يعني عندما تودّ البحث عن شريك حياتك، عليك أن ترى فيه مجموعة من فضائل: التسامح، الاستقامة، الغفران، العدل، الطهارة، الصدق والعفة، وهو يسعى فعلاً الى تحقيق هذه الفضائل يوماً بعد يوم في حياته الزوجية، مقابل أن يرى فيك أيضاً علاوة على الفضائل المذكورة آنفاً، القدرة على العمل، الى الجدية في الحياة. عالمنا اليوم، يحتاج إلى زواج حبٍّ واقعي، حبّ يشمل الأعمال اليومية، حبّ يشمل كلّ ما تحمله الحياة، حتى لو كان أمراً صغيراً، تافهاً، مخالفاً لما نريد أن يكون. فاذا ذَبُلَ العشق أو شاخ، تبقى القيم والفضائل، لأنّها ليست متعلّقة بالزمان والمكان، بالظروف والأجواء، بالمزاج والأعصاب، ولا بالعاطفة والشهوات. بل تبقى في مرض الشريك وصحّته،

في فقره كما في غناه، في شبابه وشيخوخته. وهي الكفيلة بأن تقاوم لوحـــدها ذبول الجسد.

لا تنسى العهد:

عندما نُسلِّم خاتماً الى كلٍّ من العروسين، نعني أنّ زواجهما قائم على الميثاق والعهد، حتى اذا جرّبهما المُجرِّب يذكران أنّهما مرتبطان بالعهد الذي قطعاه على نفسيهما يوم الإكليل. ولكن السؤال هو: ما هي قوة هـــذا العهـــد؟ كيف يثبت ويدوم؟ جوابنا أنّه يثبت ليس بتذكّره أو إحيـــائه بمجـــرّد الإرادة والنوايا. إنّ الرغبة في أن تكون أميناً مع العهد الذي أبرمتـــه مـــع شـــريك حياتك، والنيّة في تحقيقه لا يكفيان، لأنّ الأمانة تحتاج الى زخم يأتيهـــا مـــن المحبّة التي وضعها المسيح والنية تحتاج إلى تجسيد. أنتَ لا تجد أباً واحـــداً من آبائنا يقول بأنّ المحبّة تنشأ من العشق، الشهوة، جمال الجســـد، الغنـــى المادي أو... بل، إنّها تجيء من فهمنا لكلمة القديس بولس، من رسالته إلـــى أهل أفسس التي نقرأ مقطع منها أثناء إحتفالنا بسرّ الزواج ونواته الأساســـية: ''أيّها الرجال أحبّوا نساءَكم كما أحبَّ المسيح الكنيسة وأَسلَم نفسه لأجلِهـــا'' (أفسس 5/29). المعنى أنّه على صورة موت المسيح مـــن أجـــل كنيســـته العروس، هكذا ليبذل كلّ واحد من العروسين نفسه للآخـــر حـــتى المـــوت. والمحبّة تتغذّى بالصلاة، قراءة الكلمة والتأمّل فيها، وفي خدمة الواحد للآخر، وهي التي تسعف العهد والميثاق، وتجعله ينتصر على الضـــجر والإغـــراء، على الملل ورغبة الانفصال، بحيث إنّك تبذل نفسك لشريكك إذا مـــرض، أو بلغ الكهولة أو الشيخوخة. أنت لا تعطي للآخر نفسك لشرط متـــوافر فيـــه. فالإخلاص غير مشروط بأيّ وضع في الصحّة أو الجمال أو الجاه أو المال.

فكما أنّ المسيح مات للمؤمنين به وهم خطأة. أنت تبذل نفسك من أجل شريك حياتك وهو على ضعفه وخطاياه. وقد تكثر خطاياه مع العمر. ولكنك تغضّ النظر عنها، وتنظر فقط الى العهد الذي قطعته على نفسك، لإيمانك بأنّ المسيح قادر أن يُطهِّر قرين حياتك وأن يعود به الى التوبة. وقد تكون في هذا ماشياً في الصحراء، وتلمس أنّك تنال القليل من الآخر. ولكنك مع ذلك تعطي حسب وصية يسوع: ''مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا''. أنت إقتبلت شريك حياتك مجاناً من الله وقد تلاحظه يوماً بخلاف ما توقعت، إنّه قليل المواهب، أو أنّه خسر بعضاً من مواهبه وطاقاته مع مرور الزمن. بهذا المعنى قد تسير فقيراً في حياتك العائلية، فقيراً من كلّ موهبة في الآخر، ولكنك تعهدتَّ وعليك أن لا تنسى العهد بأن تعيش المحبّة بمعناها الإنجيلي. وفي هذا وحده سرّ إخلاصك لشريك حياتك وخلاصك الأبدي.

سرُّ الزواج
وسرُّ الثالوث الأقدس

''أنا لحبيبي وأَشْواقُه إليَّ، هلُمّ يا حبيبي، لِنَخرُجْ إلى الحقول ولنبِت في القرى، فلنُبكِر إلى الكروم وننظُرَ هل أَفَرخَ الكرم وهل تفتحت زهوره وهل نَوَّرَ الرُمان، وهناك اَبذُلُ لَكَ حبُيِّ إجعلني كخاتمٍ على قلبك، كخاتمٍ على ذراعِكَ، فإنَّ الحبَّ قويٌ كالموت والهوى قاسٍ كمثوى الأموات، سهامه سهام نار ولهيبُ الرب المياه الغزيرةُ لا تستطيعُ أن تُطفِئَ الحب والأنهارُ لا تغمُرُه، ولَو بذل الإنسانُ كلَ مالِ بيته في سبيل الحب لاحتُقِرَ إحتقاراً'' (نشيد الأنشاد 7/11-13؛ 8/6-7).

هكذا يتخاطب كلُّ حبيبين في كلَّ الأجيال وكلِّ الأقطار، وهذا التخاطب هو صورة لتخاطب الله والبشرية. وكما قال القديس يوحنا أنَّ الله ''محبة'' (1 يوحنا 4/8) ، لهذا السبب هو جماعة: آب وإبن وروح قدس. فالله عائلة. في البدء كان الكلمة (الإبن) والكلمة كان لدى الله (الآب) والكلمة هو الله ''مع الآب''، في وحدة الروح القدس الذي هو حبُّهما المشترك (يوحنا 1/1). هذا الإله المحبَّة، هذا الإله العائلة صنع الإنسان على صورته كمثاله، صنعه لا فرداً مُتوَحِّداً، بل جماعة متآلفة، فكان حقاً على صورة الإله الحقيقي، الإله المحبَّة. لهذا السبب صنعه ذكراً وأنثى متشابهين ومتغايرين ومتجاذبين – روحاً وجسداً– بدينامية حبٍّ يجعلهما واحداً، فينبثق منهما ثالث، الولد، الذي هو عنوان وحدتهما وتجسيد حبِّهما: إنَّه أنت كلياً، إنَّه أنا كلياً، إنَّه كلانا معاً في وحدة الجسد.

بين الحياة بصيغة المفرد والحياة بصيغة المثنى، وبين المثنى والجمع، فرق شاسع حمل أحد المُفكِّرين على القول: ''أبعد من المثنى، لا تجد سوى الجماهير''، ذلك أنَّ الانتقال من العزلة إلى الجماعة يَتطلَّب جهداً كبيراً للعبور من خطر الأنانية إلى ضياء العطاء والغيرية. هذا المنطلق البشري أمسكت به الكنيسة منذ نشأتها وحاولت رفعه إلى مستوى الروح، بعيداً عن مُجرَّد الاعتبارات الجسدية والنفسية والاجتماعية، فإذاً اللقاء بين الرجل والمرأة هو إنعكاس لإتِّحاد المسيح بالكنيسة، على ما قال بولس الرسول، وسرٌّ عظيم من بين أسرار الكنيسة السبع، لا يقلُّ قداسة وأهمية عن غيره من الأسرار .

الزواج الطبيعي:

يحرم مجمع ترانت (1545– 1563) ، مَن يقول أنَّ الزواج لم يؤسِّسه المسيح بل هو إختراع بشريّ . يجب فهم هذا القول أولاً بالنسبة إلى زواج الخليقة ''في البدء حيث كلّ شيء كان بالكلمة وبدونه لم يكن شيء'' (يوحنا 1/1–3). ثمَّ يجب فهمه بالنسبة إلى زواج الفداء. فمن جنب آدم الجديد ولدت عروسته، الكنيسة، مع دم وماء الأسرار، بما فيها الزواج. لكن هذا الزواج الذي رواه ماء المعمودية ودم الآلام ليس سوى الزواج ''الطبيعي''، هذه الحقيقة الأولى كما أسَّسها الله لمّا خلق الإنسان ذكراً وأنثى. لا نرى مطلقاً المسيح يؤسِّس الزواج ''المسيحي''، ولا يتكلَّم مطلقاً على الزواج المسيحي. لمّا سأله اليهود عن الزواج، وجّه جوابه لليهود فعاد بهم إلى الزواج الطبيعي إلى تصميم الله الأول، الله الذي خلق كلَّ زواج. وإنَّه لمّا أكَّد بقوله: ''ما جمعه الله لا يُفرِّقه إنسان''، كان يَتحدَّث عن الزواج الطبيعي الأول، أي عن

تصميم الله الأول والشامل. لذا يعلن لاوون الثالث عشـــر (1878–1903): ''منذ البدء كان الزواج صورة لتَجسُّد الكلمة... لذا أعلن سلفنا هونوريـــوس الثالث (1216–1227)، من دون أي تَهوُّر وبكلِّ حـــقٍّ، إنَّ ســـرَّ الـــزواج موجود بين المؤمنين وغير المؤمنين''.

كان المسيحيون الأولون يتزوّجون كسائر الناس، أي كاليهود وكالوثنيين المحيطين بهم: يتبعون الطقوس الزوجية ذاتها، لا خط مســـيحي مُميّـــز، لا حضور كاهن أو أسقف، لا حفلة دينية خاصّة. ومـــع ذلـــك كـــان الـــزواج المسيحي آنذاك يُعتبر ''سراً''. لم يكونوا يعرفون بعد ما هو السرّ. فـــوجب إنتظار علم اللاهوت المدرسي لتعداد وترتيب البستان اللاهوتي. لكنّ الحيـــاة المسيحية لا تنتظر الترتيبات الرسمية لكي تنمي كلّ الثروة التي زرعها الربُّ في كنيسته.

في الكنيسة المضطهدة، كان الحسُّ الجماعي في الجماعـــات المُتَســـتِّرة يقوى بسبب مشاركة الأخطار. فكان الأسقف يعرف كلَّ شعبه وكانت المحبَّة الرعوية شديدة ومتبادلة. وكان الأسقف أو أحد كهنته يُـــدعى إلـــى أعـــراس المؤمنين، كما دُعي يسوع إلى عرس قانا، وكان مجيئه لا يُشكِّل خطراً إذ لم يكن يرتدي أي لباس خاصّ يدلُّ على ''شخصه''، وكان يُقاســـمهم الفـــرح المشترك إلى حين ويدلي بإمضائه، مع سائر الشهود، على عقد الزواج. وإذا سمحت الحالة الأمنية، غالباً ما كان يُطلب إليه أن يبارك الزوجين بعد بركة ربّ العائلة، فكان يرتجل صلاة أو يضع يديه على العروســـين مـــن دون أن يَتفوَّه بشيء. وكان لهذا العمل طابع خاصّ، لكنَّه لم يكن بركة زواج. لكـــن عند نهاية عصور الاضطهاد، حوالي القرن الرابع، أصبح هذا العمل عادياً. وهكذا فزواج المُعمَّدين ''الكنسي'' منذ عصور، ســـيَتحوَّل إلـــى ليتورجيـــا

ويصبح كنسياً (يُبارك في حفلة كنسيّة)، ظهرت تدريجياً عبارات التبريك وقدّاسات زواج، وإبتداء من القرن السابع، يأخذ مكاناً في الكتب الطقسية الرسمية في المناطق المسيحية. رغم ذلك، وحتى ذلك الوقت، لم تكن الكنيسة تصنع الزواجات لكنَّها تستقبل الزواج الطبيعي العادي وتباركه، والرضى المتبادل كان الرابط الوحيد والحقّ المدني وحده كان يُشرِّع له، وبقي الحال على هذا المنوال طوال الألف المسيحي الأول. في سنة 318 ، أولى الإمبراطور قسطنطين، الأسقف قيمة عامة: بوسع المؤمنين رفع شكواهم وخلافاتهم إلى الأسقف أو إلى الإدارة الملكية. وهكذا راحت السلطة الأسقفية تُطبِّق القوانين المدنية وتحكم في الأمور الزواجية باسم السلطة الزمنية وبموجب الشريعة، شريعة الإمبراطور، فكانت النتيجة مع الوقت، محو سلطة الإمبراطور وربط التشريع والحكم في قضايا الزواج بالكنيسة. ومنذ القرنين الحادي عشر والثاني عشر، لم يعد للمُعمَّدين زواج ''مقبول'' إلاّ ''أمام الكنيسة''. وفرض مجمع ترانت صيغته القانونية تحت طائلة البطلان منذ القرن السادس عشر فقط... قرنان كانا ضروريين (11 و 12) لكي تنضج الفكرة بأنَّ الزواج سرّ: وبأنَّه يرمز إلى الحبِّ الذي يربط المسيح بالكنيسة ويمنحه. مذاك أصبح السرّ أكثر من تبادل رضى ''ليس الزواج الرضى ذاته، بل وحدة الحياة والتَطلُّع إلى المستقبل الذي دشّنه الرضى'' (القديس توما الإكويني). ''السرّ هو وحدة الحياة والحبِّ العميقة''، كما يقول المجمع الفاتيكاني الثاني في (فرح ورجاء): حبٌّ مدهش دائم، منظور ومعروض على الناس كعلامة يومية للمسيح ...

سرُّ اللّٰه:

هناك ألم واحد وهو أن يكون المرء وحيداً. الإله الذي يعيش وحيداً منذ

الأزل هو منذ الأزل أيضاً التعاسة بعينها. أنانية ''قادرة ووحيدة'' كأنانية الغني في الإنجيل الذي ينوء تحت ثقل ''أملاكه'' (لوقا 12/13-21). شخص كهذا لا يمكن أن يكون الله لأنَّ الله هو السعادة بالذات. لا سعادة إلاّ إذا أَحببنا وأُحببنا؛ إذن ''الله محبة''.

هو محبَّة بالضرورة ومنذ الأزل. فمنذ الأزل هو عائلة حبٍّ. وبما أنَّ كلَّ شيء به كوّن، فكيف نريد أن يخلق الأشياء إن لم يكن على صورته ومثاله؟ نستنتج أنَّ كلّ شيء خُلق عن حبٍّ، كلّ شيء خُلِق عائلة. في نصِّ الخلق يُكوِّن الرجل والمرأة معاً بذار البشرية، مثالها كما أرداها الله. في مساء كلّ يوم من الخلق، كان الله يقول ''هذا حسن''، أمّا في اليوم السادس لمّا أخذ الإنسان من التراب، فقال: ''ليس حسناً... ليس حسناً أن يبقى الرجل وحده، سأصنع له عوناً يناسبه''. إذ لو بقي وحده، وحيداً، لما إستطاع أن يُحقِّق دعوته، دعوة صورة الله لكي يكون حبّا، يجب أن يكون هو أيضاً ''أشخاصاً عديدين''. إنَّه بحاجة إلى رفيق، كما يقول النصُّ الأصلي. لكي يشبه الله الذي هو محبة، الله الثالوث، يجب أن يتكوّن الإنسان، الإنسان الأصلي، من شخصين متشابهين ومتباينين، متساويين ومُتَّجهين الواحد نحو الآخر جسداً ونفساً، بدافع حبٍّ قوي، بحيث لا يصبحان سوى واحد وبحيث يولد وينمو من إتِّحادهما ''الشخص الثالث''، الولد، عنصر وحدتهما المنظورة. هكذا يكون الزوجان سرّ الله الذي لا يكشفه تماماً سوى الإيمان وحده، والذي تحتفل به كنيسة يسوع المسيح كما هو. ولأنَّ الله الثالوث حبّ، فقد قطع عهداً مع البشرية... ''عهد'' كلمة تعني لكم شيئاً، أنتم من تحملون في إصبعكم خاتم الزواج؟ ''أتزوجك إلى الأبد، يقول الربُّ، أتزوجك في الحبِّ والحنان، أتزوجك في الأمانة، فتعرفين الله'' (هوشع 2/21- 22).

فلنفهم ما يلي: تزوّج الابن البشرية لمّا تَجسَّد. تــرك أبــاه وأخــذ الطبيعــة البشرية. وها هو الله الإبن والإنسان يسوع الناصري ''في جسد واحد''، هذا الجسد المولود من مريم العذراء. فالله كلُّه في يسوع الذي يُكــوِّن مــع الآب والروح إلهاً واحداً. وفيه، هو الإنسان، الإنسان كلّه، إذ بإمكــانه أن يجمعنــا كلّنا فيه، في جسد واحد. هكذا تجري فينا حياة الله كلّها بيسوع المسيح. حياتنا كلُّها، وقد تطهّرت وتغيّرت تمرّ بيسوع المسيح إلى الله. بين الزوجين، كــلّ شيء مشترك. والحال أنَّ الله تَزوَّج البشرية. وهذا هــو العُــرس الحقيقــي: عُرس الله والبشرية في تَجسُّد الإبن. الزواج المثالي هو هذا. زواج نهــائي، زواج أغنى حبٍّ ، لأجل عروسه، قدّم الإبن ذاته إلى الموت، ولأجلها وهب ذاته في المناولة... فالربُّ يطلب بواسطة كنيسته، أن يعطي الرجل والمــرأة ذاتيهما الواحد للآخر في الحبِّ، مدى الحياة إذ يقبلان هــذا الشــرف وهــذه النعمة فيعيشان عهد المسيح ويشهدان له، يحملانه ''سراً'' أي علامة حسية يراها الجميع. ما ينتظره الرجل من المرأة، وما تنتظره المرأة من الرجل هو السعادة التي لا تُحدّ، الحياة الأبدية، الله. لا أكثر ولا أقلَّ. هذا الحلم المجنون يجعل العطاء الكامل ممكناً يوم الزواج. لكن هذا العطاء مستحيل، إلاّ إذا وجد الزوجان في حياة شريكهما كلَّ غنى الله، في قلبيهما، كلُّ هذا الحبّ الحنــون والرؤوف، حبُّ المسيح. سرُّ الزواج هو هذا اللقاء الإلهي .

في تدبير الخالق:

''خلق الله الإنسان ذكراً وأنثى خلقهم'' (تكوين 1/27). ليس فــي الله جنس، لكن الله محبَّة، علاقة محبَّة بين الأقانيم الثلاثة. فلمّا خلق الإنسان على صورته، وصنعه ذكراً وأنثى، فلكي يكون جديراً مثله بالمحبَّة. فالحبُّ هــو

الأول، لا التوالد. بكلام آخر: لم يخلق الله الإنسان ذكراً وأنثى ليكون هناك، أولاً، بنون وبنات، بل ليكون حبّ بينهما، ومن ذلك الحبّ يكون بنون وبنات هذا هو الفرق بين الجنس الإنساني والجنس الحيواني، فالجنس الحيواني للتناسل لا غير. أمّا الجنس الإنساني فللحبِّ أولاً، للعلاقة، للتخاطب ثم للتناسل، لهذا السبب لا يتمّ التزاوج الحيواني إلاّ في فترات الخصب، للتناسل، أمّا التزواج الإنساني فلقد يتمّ خارج فترات الخصب، لا للتناسل، بل للعلاقة الودية.

لكن جاءت الخطيئة. كان الاثنان قبلاً عريانين الواحد أمام الآخر من دون أن يخجلا (تك 2/25) . بعد ذلك ''عرفا أنَّهما عريانان'' (تكوين 3/7) . التناغم في العلاقات الشخصية تشوّش حتى على الصعيد الجنسي. أجمل ما فيه قدرته على الحبِّ فسدت بالخطيئة تحوّل الحبِّ إلى شهوة جنسية. هنا، ليست اللذة هي التي إستقرت بطريقة تعسفيّة، فهي عطية الله، بل إستعباد الشهوة واللذة ''شهوة الجسد'' (1يوحنا 2/16). في فوضى العواطف والحواس هذه يَتجذَّر عدم الثقة بالنسبة إلى الجنس والخجل من أعمال الجنس (إختبأتُ لأنّي عريان)، كأنَّ هناك تنافراً بين العلاقات الجنسية والقرب من الله (حزقيال 19/15)، هذه العقدة الغريزية التي لم ننتقدها بعد سوف تطبع الكنيسة أكثر ممّا تطبعها ''صورة الله''. في الجنس الإنساني نزعة إستهلاكية، الغريزة، ونزعة إتِّحادية تتجاوز الغريزة، وكثيراً ما تطغى الأولى على الثانية، في هذه الازدواجية الإليمة كلّ معاناة الجنس الإنساني. في هذا المعنى يقول طاغور: ''أحاول أن أمسك الجمال، لكنَّه يفلت مني تاركاً بين يدي جسداً فحسب. فأتراجع خائباً تعباً، أين للجسد أن يلمس الزهرة التي لا تطالها إلا الروح؟ وعليه فلا بدّ من التوفيق بين النزعتين، لأنَّ ''الغريزة

دون الحبّ إباحية، والحبّ دون الغريزة حبّ طوباوي'' (جـــان لاكـــروا)... لكن هذا لا يعني أنَّ الزواج قد مُني بالفشل. إنَّه لا يزال موضوع بركة مـــن الربِّ، وتحقيقاً ممكناً للحبِّ البشري، حبٌّ جريح، لكنَّه حبّ قد باركه المسيح في عرس قانا الجليل، ورفعه إلى مستوى أسرار الكنيسة، فجعله أداة حقيقية للإتِّحاد به، وقناة للنعم، تماماً كما هي الحال في سائر الأسرار.

تصميم الله:

إلتزام مدى الحياة. يعود بنا يسوع إلى الزواج الأصلي الذي نجده فـــي أوّل سفر التكوين، هذا كلّ شيء: زواج بين رجل واحد وامرأة مدى الحيـــاة ''ولذلك يترك الرجل أباه وأمه، ويلزم إمرأته، فيصـــيران جســـداً واحـــداً'' (تكوين 2/24؛ــ 1كو 6/16) . يكونان جسداً واحداً، وكما يقـــول ملاخيـــا: ''ليسا بعد إثنين، بل كائن واحد حيّ في جسد تنعشه نسمة حيـــاة'' (2/14–15). رجل واحد لامرأة واحدة، إذاً، الأمانة والاستقرار فإنَّ ''مَن حاز إمرأة واحدة فهي له رأس الغنى، وعون بازائه، وعمود يستريح إليـــه'' (ســـيراخ 36/26).

بالطبع ليست هذه المقاييس طبيعيّة، هذا الزواج الواحد والـــدائم، الـــذي يساوي بين الأثنين ويوحّد بينهما، لم يتّبعه الإنسان في البدء، ليســـت قصـــة الخلق تاريخاً بل مشروعاً، إنَّها غاية أواخرية وضعها الله لكي يتَّجه نحوهـــا الزوجان تدريجياً. إذا كان لدينا أيّ وهم حول الموضوع، فجـــرح الـــزواج الأول يُعيدنا بسرعة إلى الواقع... ومع ذلك فالكتاب المُقدَّس يمـــدح الحـــبَّ الزوجي الذي هو ''صورة ومثال'' حبّ الثالوث. أنعجب بعد إذا كان هـــذا الحبّ صعباً ؟ صعب ولكنَّه ممكن. فاللازمة في كلام الله هي هـــذه: ''مـــا

جمعه الله لا يُفرِّقه إنسان''. وأمام الصعوبة اللازمة، المخرج الوحيد المضيء هو مخرج إلهي، ''مسيحيّ''، مخرج المسامحة والمصالحة، ''كما أحب المسيح كنيسته'' (آفسس 5/25) . فحبُّ المسيح هذا قاده إلى الصليب الذي نحن نصبناه له، فتقبّله راضياً. كُفرُنا له، قابله بالمحبة، خيانتنا له، قابلها بالأمانة، فبرهن بذلك أنَّ الحبَّ الصحيح يصمد في وجه الصعوبات والأعاصير. معظم المشاكل الزوجية تنجم عن الاعتقاد بأنَّ الزواج نقطة وصول ونهاية، لا نقطة إنطلاق وبداية ''تزوّجنا، خلص''، لا، بل ''تزوَّجنا فلنشمّر عن سواعدنا لبناء العمارة''. الزواج حجر رخام، والقرينان نحّاتان عليهما أن يحوّلاه يوماً بعد يوم، بالصبر والتعاون، إلى تمثال جميل. قال أحدهم: ''الزواج كتاب ضخم، موضوعه جدّي، إنَّما مُقدِّمته قصيدة غزل''. فإذا ما إصطدمتَ بصعوبة الكتاب وطول فصوله، عد وإقرأ المُقدِّمة، والأفضل من ذلك هو أن تنقل المُقدِّمة على ورقة طائرة، ثم تضعها علامة في الكتاب، حتى ترافقك من صفحة إلى صفحة ومن فصل إلى فصل .

ما جمعه الله:

لا يُفرِّقه بشر. سأل الفريسيون المسيح، مُجرِّبين: ''هل يحلّ للرجل أن يُطلِّق إمرأته لكلِّ علّة؟ ''أجاب يسوع... من طلّق إمرأته – إلاّ في حالة الزنى– وتزوج أخرى، فقد زنى'' (متى 19/3– 9). ''وإن طَلَّقت إمرأة رجلها، وتزوجت آخر، فقد زنت'' (مرقس 10/12). أجل ''مَن طلّق إمرأته وتزوج أخرى، فقد زنى. ومن تزوج إمرأة طلّقها زوجها، فقد زنى'' (لوقا 16/18).

أتى المسيح إلى العالم ليُجدّده. فكان أول مظاهر التجديد إعادة الزواج إلى أصالته، أي الاحادية وعدم الانفصام. فما يهمّ يسوع هو المشروع الإلهي

بخصوص الإنسان، فالطلاق تفشيل للمشروع الإلهي، وإفساد للعهد القائم بين شخصين قد أصبحا جسداً واحداً. ولكن ما معنى الاستثناء ''إلاّ في حالة الزنى؟ هل يعني ذلك فعل الزنى؟ أم شيئاً آخر؟ نلاحظ أولاً أنَّ هذا الاستثناء لم يرد إلاّ في إنجيل متى. وذلك لأنَّ القضية – في البيئة اليهودية – كانت قضية الساعة عند العلماء، وكانت تثير الكثير من النقاش والجدل، في معرفة ما إذا كان مثل هذا الزواج صحيحاً أم لا. فجزم المسيح، مشيراً إلى أنَّه زواج باطل ينبغي إمّا فسخه وإمّا تصحيحه. ما هي إذاً ''حالة الزنى'' هذه التي تجيز الطلاق؟ هل هي خطيئة الزنى؟ الخيانة الزوجية؟ إنَّ الكلمة التي إستعملها القديس متى في إنجيله تعني في ما تعنيه ''الزواج غير الشرعي لمانع ما''، عن حسن نية أو سوء نية. فمثل هذا الزواج يكون باطلاً بالأساس، وهو يضع الزوجين في ''حالة زنى''، أأدركوا ذلك أم لم يدركوه، وعندئذ ينبغي الطلاق أو تصحيح الزواج إن كان الزوجان مدركين للأمر وعندهما رغبة في ذلك.

وهناك إستثناء آخر، يجيزه القديس بولس، ولقد سمّي بـ ''الانعام البولسي''، ''أمّا الباقون فأقول لهم أنا لا الربّ، إن كان أخ (مسيحي) له إمرأة غير مؤمنة... وإمرأة لها رجل غير مؤمن... وغير المؤمن لا يرتضي المساكنة، بل يفارق فليفارق. فليس الأخ أو الأخت مُستعبَداً (مرتبطاً) في مثل هذه الأحوال'' (1كورنثس 7/12– 15). كما وتجيز الكنيسة فسخ الزواج إن هو ''غير مكتمل''.

هذه هي الحالات القابلة لفسخ الزواج، ففي ما عدا ذلك، وما عدا التبيّن أنَّ الزواج باطل من أساسه، فلا فسخ للزواج، بل هجر إذا اقتضى الأمر... لذلك فالزواج السرّ لا ينفصم: فهو بالنسبة إلى الأزواج المسيحيين، إتِّحاد

المسيح بكنيسته. لا يسمح للرجل بأن ينفصل عن زوجته تماماً كما لا يسمح للمسيح بأن يَتحرَّر من تَجسُّده فينفصل عن البشرية ويخون العهد، عهد الحبِّ الذي يربطه بكنيسته، والحال أنَّ المسيح لن يترك كنيسته أبداً. كلُّ زواج مسيحي مُعمَّد ومُطعَّم إلهياً على هذا الحبِّ المتين، حبُّ المسيح وكنيسته، لا خليقة أخرى يمكنها أن تحلَّ رباط الحبِّ هذا الذي يربط بين المسيح وكنيسته.

أنموا وأكثروا:

يقول المجمع المجمع الفاتيكاني الثاني: ''في طبيعة الزواج والحبّ الزوجي إنجاب البنين وتربيتهم، وهذان يُتوِّجان الزواج والحبّ ، كما تتوّج القمة الجبل'' (فرح ورجاء، 48/1) ، ويقول البابا بولس السادس: ''في طبيعة العمل الزوجي، الذي يوّحد بين الزوجين، أن يجعلهما جديرين بايلاد حياة جديدة، وذلك بمقتضى نواميس مطبوعة في كيان الرجل بالذات وكيان المرأة '' (الحياة البشرية/8(. لذا فإنَّ الولد ليس غريباً عن القيم الزواجية، لا بل هو مُكمّل لها، إذ هو يجعل العلاقات الشخصية، في الزواج، على صورة العلاقات في الثالوث الأقدس. وعليه، فإنَّ الكنيسة لا تعترف بصحة زواج من كان في نيتهما صراحة رفض قاطع للولد. إذ لا يحقّ للزوجين أن يقصيا بصراحة الولد عن مجمل ''مشروعهما'' الحياتي .

هدفنا:

كلُّ هذا يهدف إلى إستجلاء روحانية بيتيّة، حيث تبان طريق خاصة يكبر في مسيرتها حبّ الزوجين لله وإيمانهما به ورجاؤهما بمواعيد، فيشهدان من خلال هذه الخبرة أمام أولادهما والآخرين والعالم. هذه الشهادة تتغذّى من

ممارسة سائر الأسرار الشقيقة السابقة واللاحقة لسرِّ الزواج التي هي أيضـــاً من أجل حياة مسيحية أفضل وإلتزام للمسيح والكنيسة والعائلة حتى الممات. وعلى المتزوجين والوالدين المسيحيين، في سبيلهم الخاصّ، أن يتعاونوا معاً بحبٍّ دائم على حفظ النعمة طوال العمر، وأن يُعلِّموا الأولاد الذين أعطـــاهم الله إيّاهم في حبِّهم، التعليم المسيحي والفضائل الإنجيليـــة. وبـــذلك يعطـــون الجميع مثلاً في الحبِّ الثابت السخي ويبنون على المحبَّة مجتمعـــاً أخويـــاً، ويصبحون شهوداً وشركاء في خصب أمِّنا الكنيسة، دلالة وإشتراكاً في الحبِّ الذي أحبَّ المسيح به عروسه باذلاً نفسه عنها.

سرُّ الزواج

سرُّ العطاء والانفتاح

يبدو كلَّ شيء ممكناً وسهلاً لدى العُشّاق. بينما بالنسبة للذين عانوا من إختبارات الزمن، أزمات عاطفية أو الأحداث الأخرى، فاللازمة الوحيدة والحقيقية التي يردّدونها: ''كم هو صعب أن نحبَّ؟''، أين تكمن حقيقة الحبّ؟ وأين تكمن حقيقة العلاقة بين الرجل والمرأة؟ ما هو مصدرها؟ ما هو طريقها؟ ما هو مصيرها؟

منذ آلاف السنين أحبَّ الرجال والنساء بعضهم بعضاً. والثقافات والأديان المختلفة لم تبقَ صامتة، إذ قدَّمَت تعاليمها إلى الإنسانية، ثروات جمَّة من الحكمة حول موضوع الحبّ والزواج. ولكن ماذا يقول الله لنا عن الحبِّ الزوجي؟ ألا يُشكِّل العهد بين الرجل والمرأة موضوع وحي؟ ماذا يقول السرُّ عن ذاته؟ ما هي خواصّه الحقيقية؟ ما هي غاياته الجوهرية؟

عطاء حرّ:

تُشدِّد الكنيسة، حتى ضمن ظروف ثقافية مبتاينة، على قدرة الرجل والمرأة على الالتزام في الحبِّ بحريّة، الواحد تجاه الآخر وتجاه الله. وفي الرتبة الطقسية الخاصّة بالزواج، أحد الأسئلة التي تُطرَح على زَوجَي المستقبل هو: هل تتزوَّجان بكامل حريّتكما وبرضاكما التامّ، وبدون جبرٍ أو إكراه؟ إنَّ الرضى في الزواج شرط أساسي لصحة السرّ.

من المُؤكَّد، أنَّ حريَّتنا تخضع دائماً لبعض الظروف، إلاّ أنَّها ما كانت أبداً مُسيَّرة بشكلٍ كامل. إذن، كي يهب الواحد ذاته للآخر، من الملائم أن يكون الالتزام بأقلِّ خضوع ممكن وإستعباد. فليس تَعهُّد الأزواج الواحد أمام الآخر ناتجاً عن عادة أو منفعة أو ضرورة. ليس من حبٍّ في وضع الخوف والضغط. يقول يسوع: الحقّ يُحرِّركم. والحبُّ الحقيقي لا يعيش إلاّ في مناخ من الحريّة، ولا يمكن أن ينمو بدون هذه الحريّة التي يتبادلها الزوجان بكلِّ ثقة، الواحد مع الآخر. ويكمن جمال هذه الحريّات التي يهبها الواحد للآخر في أنَّها تُقرِّر عدم إتّخاذ أيّ قرار بدونه. وهكذا يُقدِّم أحدهم حريّته ليجد ''حرية أخرى'' أكثر إتّساعاً وشمولاً بواسطة المشاركة الشخصية. وهكذا يدخل الطرف في ''نسيان'' أو ''خروج'' من الذات ليتذوَّق أمراً ''جديداً'': إذ ينتقل من الـ ''أنا'' إلى الـ ''نحن''، من ''الفردية'' إلى ''الثنائية''. هذه الحريّة التي يعيشها الزوجان يُؤسِّسها ويُنمّيها الحبّ. إنَّها تُغيِّر الحياة بصورة ملموسة، لأنَّ العيش معاً يُعطي بُعداً جديداً لجميع مظاهر الحريّة الشخصية.

إنَّ من العلامات المُميَّزة للالتزام الحرّ هي كلمة ''نعم''. فأن نقول ''نعم''، يعني الانفتاح نحو مشروع مشترك، ويعني الاستجابة إلى نداءٍ شَعَرنا به وكشفناه وسمعناه. وأن نقول ''نعم'' يعني الردّ بكلِّ كيانِنا وخاصّة في القبول الزواجي.

في أغلب الأحيان، يُعبِّر العاشقان بطرق مُتعدِّدة عن توق أحدهما للآخر، وعن رغبتهما في أن يبنيا معاً شيئاً يدوم، وبأن يستمر حبُّهما المتبادل إلى الأبد. والعهد المُتبادَل هو ''نعم'' يقولها كلّ منهما فيتلقاها الآخر كهدية شخصية. إنَّها ''نعم'' تجعل الشريك يحلم، وتُدخِلهُ في أرضٍ جديدة، أرض

باكر، عليه زراعتها وجعلها جميلة. ولا تُعطى هذه الـ ''نعم'' بسهولة دائماً، فبالنسبة للمُتقدّمين والمُتقدّمات إلى الزواج، والذين يعون حجم الالتزام، تحتوي كلمة الـ ''نعم'' تبعة كلّ ما هو مأمول، وجميع مُتطلّبات ما سيكون. وليست الـ ''نعم'' ملجأً، بل هي مخاطرة ومغامرة سوف تبدأ.

كلمة ''نعم'' المتبادلة:

نحن نعرف جيداً كوننا زوجين مسيحيين أنَّ هذه الـ ''نعم'' التي يتبعها ''أقبلكَ كزوجٍ، أقبلكِ كزوجةٍ، وأقدِّم ذاتي لكَ (لكِ) لأحبّك وأعتني بك طوال حياتنا، في الأيام الحسنة والصعبة، في الأفراح والأتراح حتى يُفرِّق الموت ما بيننا''. هذه الـ ''نعم'' الصغيرة المقتصرة على ثلاثة حروف، تحتوي على ما يشبه البذار لكلِّ حياتنا الزوجية. ثلاثة حروف، هي ثلاثة أنغام صافية تحتوي كامل سمفونية حياتنا، وسوف تصدح بشكلٍ خاصّ كفعلِ شكرٍ في ''الأيام الحسنة'' وبصورة ''نداء تذكير'' في ''الأيام الصعبة''.

كثيراً ما نقول إنّنا نتزوَّج كلّ يوم. ونحن وإن لم نُردِّد بشكلٍ ظاهر كلمات التزامنا، فإنَّنا نعيش كلَ يوم هذه الـ ''نعم'' في هبة حياتنا التي يُقدّمها أحدنا إلى الآخر: ''اليوم أقبلك وأهبك ذاتي...''، وصلاتنا الزوجية التي نتلوها مساءً على مقاعد صلاتنا هي مثل يوم زواجنا. نشكر خلالها الربّ لأنَّه رافقنا طيلة اليوم. إنّه قريب منّا كأبٍ مُحبّ جداً، وهو يُثبّت كياننا الزوجي بفضل حنانه علينا.

إنَّ هذه الـ ''نعم'' التي يتبادلها الرجل والمرأة علناً أمام العائلة والشهود لهي أمر رمزي. إنَّ الكلام المتبادَل مفهوم من الجميع، وهو يسمح للجميع بأن يفرحوا لحبٍّ كهذا والتزام كهذا وأمل كهذا. كلُّ عهدٍ بحاجة

لشخصٍ ثالث، والشهود الذين يسمعون كلمة ''نعم'' أليسوا كذلك شهود الله الذي يسمع هو أيضاً الـ ''نعم''، ويشارك بالـ ''نعم'' ويقول بدوره ''نعم'' لهذه الرغبة في الحبِّ؟ إن كان الطرفان جديرين بالـ ''نعم''، بعد ذلك سوف لن يكونا إثنين بل ''واحداً''! الله يفرح بالـ ''نعم'' لأنَّه الحبّ. أن نقول ''نعم'' للحبِّ، يعني أن نقول ''نعم'' لله، وأن نُسبِّحه وأن نجعل مُخطَّطه ظاهراً في الخلق لكلِّ إنسان.

يَتجلَّى جمال الإنسان في قدرته بأن يقول ''نعم'' للوجود، لوجوده هو، ووجود الآخرين، ولوجود شريك حياته القادم. إنَّ الـ ''نعم'' في الزواج هي ''نعم'' للحياة، نعم لاختلاف المحبوب وإن كان ذلك يُخيفنا أحياناً.

إنَّ كلمة ''نعم'' ليست ساكنة، بل هي في حركة مستمرة، هي حياة، وتُعطي الحياة. تبرز السعادة من هذه الـ ''نعم'' لمشروع مشترك. أليس الزوجان مَن سيُكرِّسان ذاتيهما في خدمة الـ ''نحن''. فالـ ''نعم'' قرار يقود الزوجين إلى ''بيت مشترك'' جديد. وهكذا نُؤكِّد بأنَّ الحريّة الشخصية تنمو وتقوى في رباط الزواج حصرياً. وبينما ينحصر الأفق بالنسبة للبعض في إطار إتّحاد أحادي الزواج، لكن في الواقع تنمو الحريّة وَتَتعمَّق في سرِّ الآخر. فحين يُقدِّم كلَّ من الزوجين ذاته بكلِّ حريَّة إلى الآخر، يكون مدعواً إلى اللقاء مع الله ومحبَّته، لأنَّه مصدر كلِّ حبٍّ. وهكذا يصبح الطرفان كياناً جديداً. فيمكنهما أن يتكلَّمان على الـ ''نحن'' وأن يعملان باسم الـ ''نحن''، لكي يدخلا معاً في حريّة مختلفة، هي حريّة تقديم ذاتيهما معاً إلى الآخرين.

عطاء كليّ وغير محدود:

لِمَ تقديم الذات وإعطائها؟ ما هو الهدف من هذه الهبة التي تستحوذ على

الشخص بكامله؟ الغاية من العطاء هي تكوين الوحدة الزوجية والعائلية.

بهذا المعنى فإنَّ العطاء الشخصي ''ينفتح'' في الوقت ذاته إلى ما هو أعظم من الشخص الذي يهب ذاته. إنّه ينفتح إلى حقيقةٍ تتجاوزه، وهي الزوجان والعائلة. ليس الأشخاص ''عبيداً'' لهذا الكيان المُبهَم، بل هم في خدمة ''سرّ'' يتجاوزهم، إلاّ أنَّه لا يَتحقّق إلاّ بمشاركتهم وحضورهم. وبما أنَّ للهبة هذا البُعد، لذلك يبدو طبيعياً أن تكون كاملة.

تفترض مثل هذه الهبة ثقة جذرية لا حدود لها، إن كان من جانب الشخص الذي يهب ذاته، أو من جانب مَن يَتلقَّى هذه الهبة الشخصية. بحيث كلٌّ من الزوجين يُقدِّم أفضل ما فيه وأفضل ما له، لكن في الوقت ذاته يحمل حدوده ونقصه وضعفه. إنَّه يُقدِّم كلَّ شيء حين يهب ذاته. ولا يمكن لأحدٍ من الطرفين أن يبقى عازباً، إنَّه شريك للآخر، أي إنَّه يستسلم للغير في ''عُريهِ''، أي في حقيقة الشخص كما هو تماماً.

من المُؤكِّد أنَّ هذه الحقيقة تقريبية وغير معروفة تماماً، إنَّما يتمّ إكتشافها من خلال تقديم الذات. ويُظهر العهد حقيقة كلّ شخص، فهناك قفزة يجب القيام بها، ومغامرة يجب خوضها، وهي التي تسمح باكتشاف الجديد.

ليست هذه الهبة ذوباناً أو إضعافاً للشخصيات ضمن كلٍّ متجانس، أو ضمن كيان يُخضع الحريّات الإنسانية، وليس الكيان الزوجي مؤسَّسة صغيرة يجب التضحية بكلِّ شيء في سبيلها. إن كنّا نَتحدَّث عن الهبة الكاملة والحصرية، فذلك ضمن الشرط التالي: أن يحافظ كلٌّ واحد على شخصيته وأن يجد في هذه الهبة ''الأرض الملائمة'' كي ينمو ويقوى ويزدهر في الحبِّ. إنَّه لصحيح وإن كان صعباً، أنَّنا نستطيع أن نحافظ على شخصيتنا ونحن ننظر إلى الآخر نظرة إعجاب وتشجيع، وأن نحافظ على شخصيتنا

ونحن نحبُّ الآخر باحثين عن تَقدُّمِه. ضمن هذا الشرط يزدهر الحبُّ وَتتشكَّل الوحدة الزوجية. ومعاً، نبني في الحبِّ ما يتجاوزنا، وفي الوقت ذاته نحافظ على ما يسمح بأن نكون ذاتنا في أعيننا وأعين الآخرين وعينيّ الله.

إحترام الاختلافات:

حين سُئلَت إحدى بناتنا عن الصورة التي تحملها عن والديها قالت: ''ما يعجبني بشكلٍ خاصّ في والديّ هو الاحترام الذي يكنّه كلٌّ منهما للآخر. من المهمّ جداً إذن، إحترام الآخر وهو يختلف عنّي. إنَّ إحترام إختلاف الآخر يسمح له بالحفاظ على حريَّته، وأن يكون ما هو عليه، وحرمان الآخر من هذه الحريّة، يعني جعله تعيساً ومنعه من التقدُّم والازدهار، وبالتالي يصبح ذلك عائقاً أمام تفتّح الزوجين بالذات''.

بالفعل تفترض هذه الهبة الكاملة إحترام الواحد للآخر والإصغاء إليه. لا يُمكن للآخر أن يصبح عبد لرغباتي ومشاريعي ونزواتي. لستُ شرطياً يراقب الآخر، فكلٌّ واحد حارس لكيان الآخر في سرِّه الخاصّ والمصون.

يبدأ الاحترام بالإصغاء إلى ما هو الآخر في إختلافه. نلمس هنا شفافية حارَّة، تحترم سرَّ الآخر وجماله، وقسماً من حديقته السرِّيّة (الفسحة الخاصّة). هذه الشفافية المتبادلة هي شرط لكمال الهبة، وتسمح لها بأن تأخذ كامل حجمها في تاريخ الزوجين والعائلة. وتُغذّي هذه الشفافية الاحترام والثقة وإن تطلّب ذلك إجتياز بعض الغموض وعدم التفاهم وحدوداً يَتعذَّر تجاوزها.

يكون الآخر في هبته الكُلِّية أكبر دائماً من الكلمات التي قد تُعبِّر عن هذه الهبة. ولا تعني حدوده أنَّ هبته هذه ليست كُلِّية، بل هي تُبيِّن أنَّها تتجاوز

حدود المظاهر، وفي الوقت ذاته أنَّه يمكن تجديدها وإغناؤها بفضل النعمة الإلهية.

هبة نهائية ودائمة:

هل بالإمكان تقديم الذات والاستمرار في تقديمها بالطريقة نفسها وبالزخم نفسه مع مرور الزمن، وبالرغم من التغييرات الحاصلة دائماً بالظروف؟

نحن عطاش إلى حبٍّ يتجاوز الموت ويدوم إلى الأبد، وفي الوقت ذاته يُفكِّر البعض في أمانة متتالية ذات وجوه عديدة: امرأة لرغباتي، امرأة أبني معها حياتي المهنية، أمّ أولادي، العشيقة التي أتولَّع بها في السنوات التي يظهر فيها ''شيطان الظهيرة''، رفيقة أيام شيخوختي... إنَّ عدم إنحلالية الرباط الزوجي ليس صعب إحترامه فحسب، بل صعب فهمه والالتزام به. عليه يُنظَر إلى الزمن كعدوٍ للحبِّ، فهو يستهلك ما هو جيّد، لذلك يرغب بعضهم بالتأقلم مع هذه المعطيات الجديدة وإبتكار نماذج زواجية أخرى أكثر مرونة.

ومع ذلك فحين نسأل شباب اليوم عن السعادة والقيم التي يرونها هامة، تجيب الغالبية العظمى: ''العائلة'' وتجيب إبنتنا: ''عائلة يسودها السلام والطمأنينة والفرح والمشاركة''... ''كان أهلنا يُكرِّسون وقتاً لنا فكانوا يتأمَّلوننا ويصغون إلينا ويساعدوننا... كان باستطاعتهم عمل كلِّ ذلك لأنَّ كيانهم الزوجي كان في سلام ووفاق''. ''جاء دورنا الآن لنحاول إتّباع هذا المثال الحسن حتى نجعل نحن أيضاً، زوجي وأنا، أولادنا سعداء''.

الخاطبون والأزواج الجُدَد يضعون إذن في رأس سُلَّم القيم ''النجاح في حياتي مع شريكي حتى نجعل معاً بدورنا أولاداً سعداء''. لذلك يُراقب

الأولاد حياة الأهل بحثاً عن مثال يُحتذى به أو عن وصفة ''كيف نَتصرَّف''.

''ما يعجبني في أهلي أنّهم بعد ثلاثين سنة من الزواج، ظَلّوا عاشقين مثل عريسين ''متزوجين حديثاً''. أنا أعرف ذلك لأنّي أراهم. الكثير من الأزواج لم يعودوا يُقبّلون أحدهم الآخر، أقلَّه في المناسبات، أو لا يتبادلون أية لفتة حنان بعد عدد مماثل من سنوات الزواج، أمّا أهلي فلا يزالون...''. وهكذا نلمس أهمية القيم الجوهرية للأمانة وعدم إنحلال الزواج المسيحي، وعدم الاستقرار الذي يُسبِّبه بكلِّ أسف إنفصال أهالي الشباب بحثاً عن قيم صلبة تكون مرجعاً لهم.

الرباط القوي يعطي القوة. ليست الهبة المبدئية بين الأزواج كالالتزام المهني أو الخدمة المبذولة. إنَّ ''كلّية'' الشخص الذي يُقدِّم ذاته إلى الآخر تُكسِب الرباط المُؤسَّس في البداية قوة ترتبط بسرِّ الآخر. إنَّ عطاء الذات بهذه الطريقة ليس بالأمر العادي. إنَّ الهبة بشكلها الرمزي تتعلَّق بكامل الكائن البشري في حياته الأرضية، وبشكلها الحقيقي فإنَّ للهبة قوة ثبات الحريّة الشخصية. ويَتعلَّق العهد بالسرِّ الذي لا ينضب بالشخص المتلقي والشخص الذي يهب ذاته.

إنَّ الرغبة في الحبِّ لا تخضع للزمن الذي يمرّ فحسب، بل كذلك للزمن الذي هو الآخر، إذ إنَّ الارتباط الذي يدوم يمتلك تلك الصلابة الشخصية. إنَّه أنا، إنَّه أنت، إنَّه نحن. فإذا كانت الشخصيات والصفات والأجساد تكتسي مظاهر مختلفة حسب فصول العمر، يظلّ الشخص هو هو. هذا هو سرُّ الحبِّ الذي لا ينضب، والذي يجري نبعه بغزارة دائماً أبداً حتى يمكن أن يصير نهراً.

يكون العطاء الزوجي مُشبَعاً بتلك الرغبة في الحبِّ التي تثق بالآخر من خلال كلِّ شيء، والتي تَترَقَّب ثمار هذا الحبّ عبر الزمن. الزمن حليف للزوجين إذا عاشا حبَّهما كعهدٍ يحترم ما هما عليه. ونفهم جيداً كيف أنَّ هذا العطاء النهائي لا يُمكن أن يستند فقط على المشاعر أو الصفات الخارجية للرجل أو المرأة. تكون الحياة مأسوية أحياناً ولا يمكن للحبِّ إلا أن يَتَّحِد بالحقيقة بمظاهرها المختلفة كالمرض وَتبدُّلات الرغبة والخيانة. الحبُّ أقوى من كلِّ شيء إذا ما عبّرت رغبة القرينين بوضوح، بانتظام واستمرار، عن العهد الأولي. ويكون ذلك بأن يُجدِّدا زواجهما يومياً لأنَّ كلَّ يوم هو يوم جديد تُدعى فيه الحريّة إلى أن تقول ''نعم''، وتُكرِّر هذا باستمرار.

إنَّ الرغبة في تقديم الذات بدون أيّ مقابل شرطُ لحبٍّ حقيقي وصادق، وهذه الرغبة هي كذلك مكان إزدهار الأمانة. الوعد الذي يتبادله كائنان يلمسان بهذا الشكل أساس ما يُقدِّمانه الواحد إلى الآخر، لا يمكن إلاّ أن يكون نهائياً وإلا تَحوَّل إلى لعبة أو خدعة حبّ. أن نَعِد بأن يُحبُّ واحدنا الآخر حُبّاً زوجياً، يعني أن نَعِد بالذهاب في الحبِّ حتى النهاية. وليس إنجاب الأولاد بشرط لتحقيق هذه الأمانة، إلا أنَّه يُثبِّت مع الزمن تطلُّعات الحبّ الزوجي المدعو إلى أن يصير عائلياً.

أغلب مَن يَتزوَّجون كنسياً يتأرجح شعورهم بين الإحساس بالطلب من الله مساعدته لتقوية حبِّهم، وبين الخوف أحياناً من التزام يعلمون أنَّه حاسم ونهائي على مستوى الإيمان. الحقيقة أنَّ الله، من خلال سرِّ الزواج، لا يكسي الحبّ البشري بطبقة مانعة للانحلال. الحبّ هو عهد حياة وأبدي، إلاّ إنَّ للنعمة الإلهية مكانها في عطاء الزوجين. إذ يمهر الله العهد بين الزوجين ويُثبِّته لأنَّه مصدر هذا الحبّ. وقد قرَّر مع الزوجين الاستمرار حتى النهاية.

إنَّ عدم حلّ السرّ، يؤكِّد عمل الله في التاريخ البشري، فهو يظلّ حاضراً وإن تَهَرَّبَ الإنسان أحياناً من العلاقة. إنّ إله يسوع المسيح هو إله العهد منذ التكوين حتى سيناء. يقول الأنبياء إنّ إلهنا أمين. نعمة السرّ هي التالية: الدخول في عمق عهد الإنسان بالأمانة الدائمة وتثبيته وإنقاذه وتقويته وإعطاؤه معنى. إنّ العهد الذي يكوّن الزواج لا رجوع عنه، ويستطيع الزوجان أن يتّكلا على الله في ذلك ويمكن لهما أن يعتبرا الله ''صخرة'' حبِّهما. يسوع هو مخلّص كلِّ حبّ بشري، وهو يعطيه معناه الكامل في الحياة وفي الموت. والسرُّ الفصحي بمجمله موجود في الوعد المُتبادَل بين الزوجين. بالرغم من صفة التَردُّد التي تحيط بحياة كلِّ إنسان، يمكن لكلِّ شخص أن يؤمن بإمكانية مثل هذا الالتزام المُستنِد إلى الله والمُتجذِّر يوماً بيوم في نعمته. إنَّ العهد الذي يجمع الزوجين هو أكثر من عهد غير قابل للحلّ: إنّه عهد يجمع الزوجين الواحد مع الآخر ومع الله. يقول الوجه الأكثر إيجابية: ''أصبحتما الآن مُتَّحدين بالله في الزواج''، ويقول وجه الضعف البشري الذي يضطلع به الله وتدعمه الجماعة المسيحية بشكل أخوي: ''لا يُفرِّق الإنسان ما جمعه الله''.

عطاء خصب ومنفتح على مزيد من الحبِّ:

أن يهب المرء ذاته كلّياً إلى الغير، هو أن يختبر أنَّ الحبَّ في حركة ''الخروج من الذات''، يتجاوزنا ويقودنا نحو اللامتوقّع، لكن نحو الأفضل. وخصوبة الزوجين يُعبَّر عنها ضمن هذا المسار وهذا التجاوز، وهي تشمل كامل حقل الحياة المشتركة. تَتَّسِم الخصوبة دائماً بالمجانية، وهي مرتبطة بسعادة الشخص وفرحه وإزدهاره، وإكتشاف صفاته وقوّته للتغلُّب على الآلام

والصعوبات. والحبُّ الزوجي والعائلي خصب في جميع مراحل الحياة، فالأولاد الذين تركوا العشّ العائلي هم دائماً أولادنا ونبقى والدَين حتى النهاية.

جميع الأزواج خصبون، وخصوبتهم تأخذ ''وجهاً'' مع مرور الزمن من خلال ديناميكية العطاء الذي بواسطته ينفتح الرجل والمرأة على جميع قيم الشخص. يجد الزوجان والعائلة خصوبتهما في تقديم الذات إلى الآخرين. يقول النبي أشعيا ''وَسِّع فضاء خيمتك''. ليس الكيان الزوجي بهدف في حدِّ ذاته، فبقدر ما ''يفقد ذاته'' ''يجد ذاته''. للحبِّ قيمة بحدِّ ذاته، إلاّ إنّه يبقى دائماً ''خروج من الذات'' للتَوجُّه نحو الآخر. يكمن مفتاح الخصوبة في ''التَرفُّع'' و''رفض المحاسبة'' و''الواهب – الموهوب'' و''التقييم الدوري''. كما يكمن في الرغبة والإرادة بعدم ''وضع اليد'' على ما نريد وما نبني، كما يفعل الوكيل المتواضع والأمين في الإنجيل. في سبيل ''تأمين'' خصوبة حقيقية للحبِّ الزوجي لنترك مجالاً للمغامرة.

إنَّ القدرة على القول للآخر: ''أنت لا تخزلني'' أو بعد عدد من السنين: ''أنت لم تخزلني أبداً''. لن يكون ذلك ممكناً إلاّ إذا لم نختزل هذا الآخر ضمن مشروع أو ضمن نظرة مثالية. لا يمكن اختزال سرّ الآخر أبداً ضمن صورة أو رغبة أو حكم، كما أنَّ التكامل بين الشخصين ليس كافياً، فالخصوبة تتجاوز هذا التكامل في الطباع والصفات والرغبات. هذا العطش إلى السعادة المُعاشة ثنائياً، يجب أن يحتوي على الرغبة في اللانهاية وإستقبال النعمة. إنَّ الخصوبة في يدي الله.

الخصوبة أكثر شمولية من إنجاب الأولاد وتربيتهم، إلاّ أنَّها تَتضمَّنها بطبيعة الحال. هل من شيء أكثر حداثة وأكثر إختلافاً وأكثر مكافأة وأكثر

حيرة من الطفل الذي يجعل الزوجين عائلة. ففي كلِّ ولادة، يستيقظ عالم جديد وتكون التغيرات عظيمة. هناك شيء ''طبيعي'' في قدوم الولد لزوجين مُتحابَين، فالأجساد التي تَتحِّد موسومة دائماً برمزية ظهور الولد.

نحن نعلم أنَّ الزوجين اللّذين يرفضان عمداً ونهائياً إستقبال الطفل، لا يكون زواجهما صحيحاً. بالمقابل يمكن للزوجين العاقرين المُنفتِحين على التبنّي أن يستمرا في حياتهما الزوجية. هذا يعني أنَّ العطاء الزوجي موسوم دائماً بالصفة الوالدية. إنَّ أفق كلِّ خصوبة هو أمر شخصي داخلي. مع ذلك نحن نعلم جيداً المحنة والألم القاسيين التي يُسبِّبها العُقم، فهو يهزّ أركان الزوجين.

كلُّ رغبة في إنجاب طفل، لهو أمر مُعقَّد. والحبُّ وحده كفيل بتنقية مثل هذه الرغبة. إذ للطفل حقوقه، ولكن ليس من ''حقٍّ في الطفل''، فالرجل والمرأة لا يمتلكان أيّة حقوق في الحصول على طفل، سواء تجاه المجتمع أو تجاه الله. وغياب الطفل لا يعني بالضرورة فشل حياة الزوجين، كما أنَّ الحقّ المُطلَق في الطفل مُجرَّد وهم. ليس الطفل ''موضوع رغبة'' مثل أيّ شيء آخر، إنَّما هو كائن كامل الصفات، إنَّه عطية الحبِّ وهبة من الله ''رزقني الربّ ابناً'' (تكوين 4/2).

الانسان يُشارك الله في عملية الخلق:

لنرجعَ قليلاً إلى الأطفال الذين إستقبلناهم كعلامة عن خصوبة الحبِّ. الأزواج مدعوون للتعاون مع الله الخالق والآب. والطريقة التي يتّحدون بها هي لهم مصدر قوة خاصّة. حين يُقدِّم كلُّ من الزوجين ذاته للآخر في الفعل الزواجي، فإنّهما يجدان ذاتهما، وتَتوضَّح لكلِّ منهما هويَّته الخاصّة، الذكرية

أو الأنثوية، كما يَتشكَّل كيانهما الوالدي. وحين يكونان قريبَيـن مـن الفعـل الإلهي، فإنّهما يختبران فيه خطوطه المُميَّزة الـتي هـي القـدرة والخلـق والمجانية، ويَتجلَّى الله فيهما كالمُعلِّم والربّ لكلِّ ما هو مخلوق. كـلُّ شـيء خاضع لعمل الخلاّق. فالعالم كلّه عجينة بين يديه هو ''الخزّاف''. ''الحيـاة البشرية مُقدَّسة لأنَّ فيها منذ البدء عمل الله الخلاق''. كذلك الأمـر بالنسـبة للعلاقة الزوجية وثمرة الحمل البشري ''يا ربّ إختبرتني فعرفتني. عرفـتَ قعودي وقيامي، وَتبنَّيت أفكاري من بعيدٍ. أنتَ تُراقـب سـفري وإقـامتي، وتعرف جميع طرقي'' (مزمور 139/1–3).

يلمس الزوجان عن قرب، عمل الله هذا، ويُترجَم وعيهم بهذا الحضور، بالاعتراف بالجميل والاكتشاف الجديد دائماً وفعل الشكر. إنَّ تَذوّق حضـور الله هذا في صميم الذات، وفي صميم علاقة الزوجين، هو تعبير فريـد عـن الخصوبة البشرية. فإذا جاء الطفل تكون الهبة مضاعفة، إذ إنَّ هـذا الكـائن الجديد هو ''هبة تَتدفَّق من الهبة''. الطفل هو شخص– هبة– يحصـل مـن عطاء والديه، ومن هبة الوجود التي يُقدِّمها له الله ''لا أحد يأتي إلى العـالم دون أن يكون الله قد أراده مباشرة''. تتضاعف قوة هذا التأكيد حيـن يَعـي الأهل مسؤوليتهم وحين ''تَتَّفق'' رغبتهم الحرّة في إستقبال الطفل مع إرادة الله. في بعض الأحيان، لا يكون هذا ''التطابق'' كاملاً، بل قد يكون تَحـدّياً حقيقياً للحبِّ البشري. بيد أنَّ كلَّ طفل في طور التشكيل في رحم أمِّه يفصح عن وجه وحيد لمحبّة الله وعمله. الطفل الجنين معهود به إلى إنسانيتنا منـذ الحمل به، فإذا كان وجوده، المجروح أحياناً، يدخل في وجودنا، فذلك ليقول لنا: ''أحبّوني بما أنا عليه''. يُشير الحمل بالطفل إلى غيرية جديدة. فهو يبيّن أنَّ الحبَّ ليس ثنائياً فقط، بل مُتعدِّد دائماً. وهذه الخصوبة تُعيدنا إلى الطريقة

التي أحبَّ بها الله كلَّ إنسان باسمه، الصغير والكبير، المجـــروح والســـليم. وقدوم الطفل لا يُشير إلى نجاح تقنية معينة أو فعل بشري، بل إلى مجانيـــة حبِّ الله الذي نلمسه في جسد الإنسان، والذي يحافظ على الحريّة الشخصـــية في جسد كلٍّ منا.

إذا كان الطفل هبة، فسيغمرنا ذلك فرحاً دون شكّ بـــ ''الإضافة'' التي يُشكّلها للعائلة. ولا يمكن تسخير، لا حضوره ولا غيابه لســـعادة البـــالغين. الحبُّ الزوجي الخصب مدعو في أغلب الأحيان إلى ترشيد رغباته. يكـــون الطفل أحياناً ساحة من ساحات صراع الحبِّ. ويجب التَخلّي عن الحلم بالطفل الكامل للوصول إلى الاعتراف بالولد الحقيقي، فتصنّف صفاته ومهاراته في خلاف ما يظهر، وتكمن كامل المهمّة التربوية، وهي ثمرة الحـــبِّ الزوجـــي المدهشة، ضمن هذا الأفق. لنقارن هذه المهمَّة بعمل ''الزارع'' الذي يرمي بذاره بسخاء في الأرض التي أوكلت إليه. فالتربية هي أن يـــأتمن المُربّـــي كلامه للشخص الآخر الذي يستقبل هذا الكلام، فيَتوطَّد فيه ويحيا به، وبـــذلك يجد هو أيضاً السعادة. الحصاد ليس ''آليـــاً''، وخصـــوبة أقوالنـــا ومثالنـــا وإستقامتنا وقيمنا تحتاج إلى وقت كي تصـــبح ''ظـــاهرة''، وليـــس فقـــط ''لتكتسب جذوراً''، بل لكي تنمو كذلك في قلب أولادنا. ومن المناســـب أن نجعل أفعالنا تُطابق أقوالنا، إذ هناك دائماً فجوة بين القول والفعل، فأن نبقـــى يَقظين لحقيقة حياتنا أمر ضروري كي تنتقل البشرى السعيدة من جيلٍ إلـــى جيل. لا يوجد إنسان كامل، إلاّ أنَّ الشهادة لحقيقة الحبِّ أمر ممكن، حتى إن تجاوزنا هذا الحبّ، يمكننا الشهادة دائماً للطريقة التي يُحبّنا الله بها من خلال المغفرة والحياة الممنوحة والهبات المتلقاة. لا يرى الأولاد الكمال في أهلهـــم مدة طويلة، إلاّ أنَّهم يبقون متأثرين دائماً باستقامة شهادتهم. هكذا يجعلنا زمن

التربية ''نسافر'' بين وصية الربِّ الإيجابية: ''أكرم أباك وأمَّك'' (خروج 20/12). ووصية القديس بولس المفيدة جداً: ''أيُّها الآباء، لا تثيروا غضب أبنائكم، بل ربّوهم حسب وصايا الربِّ وتأديبه'' (أفسس 6/4).

تربية الأولاد وتنشئتهم المسيحية:

بالفعل، كم من مرة لاحظنا أنَّ ما زرعناه، عن وعي أو لا وعي، في التربية التي قَدَّمناها لبناتنا، قد ظهرت بعد سنوات حين تَزوَّجن وأصبحن بدورهن أمّهات. لقد إعتقدنا في وقت من الأوقات، أنَّ البذار قد ضاع وأهدر ولم يكن خصباً. وها فجأة نجده قد أعطى ثماراً. هذه الملاحظة تُشجِّعنا لنأمل عودة ظهور القيم المسيحية التي أردنا نقلها، والتي نعتقد أنَّها جوهرية في حياتنا. فإذا لم يعد أولادنا يؤمنون أو لا يؤمنوا البتَّة، وإذا لم يعودوا يمارسون الصلاة أو لا يمارسوها البتة، فمن غير المُجدي أن نقتل البذار أو النبتة الصغيرة التي برعمت. إذ إنَّنا بذلك نجازف باقتلاعها. لندع الربَّ يعتني بإنمائها حسب إيقاعه. كانت أمي تقول: ''الصبر والوقت الطويل''. إنَّ توقيت الله لا يشبه توقيت البشر! بهذا الخصوص نقول فكّروا بالجدول الذي يختفي في مغارة ويغيب عن نظرنا، فلا نعرف إلى أين ذهب، إلا أنَّنا نعلم شيئاً واحداً وهو أنَّه سيخرج من جديد من مكان ما من المغارة ليتابع مسيره نحو البحر. أين؟ متى؟ نحن نجهل ذلك. إنَّ هذا المثل يُقوّي رجاءنا كثيراً.

إذن، أن يكون المرء خصباً، هو أن يصبر كالزمن وأن يدع الزمن يكشف له، بنعمة الربِّ، كامل سعة ''بذاره''. لا يمكن تقييم خصوبة الزوجين بنفس المعايير المُستخدَمة لتقييم مؤسَّسة صغيرة، فالعائلة تَتعمَّق

حتى حين توهن القوى وتنمو السريرة (حالة مـــا هـــو داخلـــي) مـــن خلال ذكريات حياة طويلة يسكنها الألم أحياناً، ويدنو الأجل. حين تتناقص الحيوية، ''لا نغلق المؤسَّسة''، بل على العكس من ذلك يستدعي الأمر بذل طاقـــات جديدة في خريف الحبِّ والحياة الثنائية. في كلِّ سنٍّ، يتبادل الزوجان العون، ويَتحمَّلان أحدهما الآخر، ويهبان ذاتيهما واحدهما إلى الآخر، ويشهدان لشعلةٍ تدفئهما. الألم مكان للخصوبة، نشعر فيه بوجود النعمة بحميمية أكثر وبقـــوة أكبر، كما يمكن للإعاقة والمرض والشيخوخة أن تفتح بابـــاً أمـــام الرجـــاء اللامتناهي، ورحيل أحد الشريكين يجعل الآخر يائساً وَمُمزَّقاً، إلاّ أنَّ الـــوقت يكون قد حان لإظهار الخصوبة التي تُوحِّد بين السماء والأرض.

عطاء من الربِّ:

قال يسوع للسامرية بالقرب من بئر يعقوب: ''لو كنتِ تعرفين عطـــاء الله'' (يوحنا 4/10). كلُّ تاريخ الشعب العبري يشهد لحبِّ الله له، هذا الحبّ ''الحنون والغيور''. وفي العهود العديدة المُبرَمة، كان الله الأمين في حبِّـــه هو الذي أرادها دائماً وعرضها. يُرمَز إلى هذه العهود بالعلاقة الزوجية بين الله وشعبه. هذا ما عَبَّر عنه النبي هوشع في حياته. كـــذلك يُـــبيِّن التاريـــخ المُقدَّس الوارد في العهد القديم، الصعوبات التي تعترض الإنسان كي يظـــلَّ أميناً للهبة المُقدَّمة. يستدعي خلق الإنسان وخطيئته عملاً خلاصياً، فيا يسوع المُخلِّص أنقذ الحبَّ.

إنَّه في الحقيقة يعطي كلَّ إنسان القدرة على الحبِّ، وهذه البشرى الحسنة موجَّهة إلى الجميع، وهذه الأوقات ''الجديدة'' هي أوقاتنا، فكلُّ شيء قد تغيّر مع المسيح. المسيح، إبن الله، هو عطيَّة الآب إلى البشرية، وبتجسّـــده إتَّحـــد

بكلِّ إنسان، وهذا من أكثر الأحداث مصيرية في تاريخنا البشري. يقول القديس يوحنا: ''جاء إلى أهل بيته'' (1/11). ومنذ ذلك الحين، تغيّرت حياتنا، فالله أصبح حاضراً فيها بطريقة خاصّة. بيسوع إتَّحد الله الثالوث بالبشرية جمعاء فأصبح قريباً من كلِّ إنسان، في الماضي والحاضر والمستقبل. وهو في محبَّته للكنيسة كما يفعل ذلك منذ قرون وقرون وفي كلِّ لحظة، يُدوِّن في تاريخ البشرية حداثة هذا الحبّ الخلاصي. والأسرار هي خيوط ضوء تشهد أحياناً في ظلماتنا أنَّ العطاء أمر حقيقي. نحن نعيش من حضور إبن الله، فأفعالنا وأقوالنا هي له وهي منه وهي لأجله. تُعبِّر البنية الأسرارية عن حضور جديد لله، ونحن نختبرها بشكلٍ ملموس وخاصّ في سرِّ الزواج.

عطاء الزوجين:

نحن نشعر بذلك جيداً في حياتنا كزوجين. إن غاب العطاء إنعدم الحبّ. الحبُّ أمين، فهو عطاء نهائي، والحبّ لا يسترجع ما وهبه. هناك تعبير شعبي يقول بأنَّ: ''العطاء يعني العطاء النهائي والاسترجاع يعني السرقة''. إلا أنَّنا نرى أنَّ العطاء بين الزوجين أكثر قوة من العطاء الوارد في المثل الشعبي. إنَّ عطاء الزوجين المسيحيين، عطاؤنا المتبادل، أقوى من إتّحادنا الجسدي بل أقوى بكثير. إنَّها هدية من الله، وهذه النعمة لم نطلبها يوم التزامنا الواحد تجاه الآخر، بل نطلبها اليوم كذلك وجميع أيام حياتنا.

هذه ''الإضافة'' التي تأتينا من الله، يمكن أن يُعبَّر عنها بطرق مختلفة. وما يختصّ منها بالسرِّ هو أنَّ المسيح يهبنا أن يُقدِّم أحدنا ذاته إلى الآخر بشكلٍ حقيقي. وككلّ أمر على الأرض، الحبُّ كذلك قد خلّصه المسيح.

بروحه القدوس. حرّر المسيح في كلٍّ منّا قوى المحبَّة ففتح في قلوبنا دروباً. إذا تجاوزنا الإغواء المتبادل، الحبّ هو ''الرغبة في تقديم الذات إلى الآخر كما هو وطلب الخير له''. تسكن قلوبنا الكثير من المخاوف، والكثير من الجروحات محفورة في عقولنا وأجسادنا. المسيح لا يلغي كلّ شيء، إلاّ أنّه يُجدِّد ويُقوّي القدرة على الحبِّ لدى مَن يرغب الالتزام في الزواج.

بشكلٍ أعمق، لا يكون التقاء الخطيبين ثمرة الصدفة، بل ثمرة العناية الإلهية، أي الله الذي يرعى تاريخنا، وهذه العناية حاضرة في لقاءاتنا وتوقظ حرياتنا بشكل ودّي. لا يَتّخذ المرء ''زوجة'' أو ''زوجاً'' بالقوة أو حسب التقاليد الاجتماعية، ولكنَّه يدرك بالنعمة أنَّ الآخر هبة من الله، وأنَّه أُعطِيَ لنا ليكون رفيق دربنا في هذه الحياة. إنَّه بالنسبة إلينا ''وجه'' يُمثِّل المسيح بشكلٍ خاصّ، والمسيح وروحه القدوس، هو الذي يوجد قوة الحبّ هذه ويدعمها وينعشها. تبرز خصوصية الزواج المسيحي في الوعي، أنَّ الآخر لا يَخُصّني ولن يكون تابعاً لي أبداً بشكلٍ مُطلَق. فالشريك هو ''علامة'' عن الآخر، عن الله. الله يُعطيني ''علامة'' من خلال الشخص الذي يضعه في طريقي والذي أستطيع أن أقول له ''نعم'' بأمانة وبدون تَحَفُّظ.

الله يعطينا لكي نعطي:

أن أثق بالله، يعني أن أضع حياتي بين يديه: القرارات، اللّقاءات والأحداث المختلفة. يسمح الروح القدس للمسيحي أن يُفسِّر وقائع الحياة، ويُبيِّن له من حينٍ إلى آخر عمل الله الجليّ. وكما يشير المزمور فالله ''موجود في كلِّ آنٍ وفي كلِّ مكان''، فلا شيء يخفى عن معرفته حتى لو احترم حريّتنا إلى أقصى الحدود: ''من ورائي ومن قدامي يُحيط بي، وتجعل

عليَّ يدك. معرفتك هذه ما أعجبها. هي أسمى من إدراكي. أين أذهب وروحك هناك؟ وأين أهرب من وجهك؟ إن تَسلَّقتُ السماء فأنتَ فيها، وإن نَزلتُ إلى عالم الأموات فأنتَ هناك. إن إتَّخذتُ أجنحة السحر وَسكنتُ في أقاصي اليمّ، فهناك أيضاً يَدُكَ تُهديني ويَمينك تُمسِكُني''. (مزمور 139/5-10). إنَّ إهتمام الله هذا هو دون شكّ عناية ''مُحبّة'' لكلٍّ من مخلوقاته، وهذا الحماس الذي يدفعنا نحو الآخر لاكتشافه وخدمته وَمَحبَّته إنَّما مصدره أعماق قلبنا.

والمسيح يشهد بطريقته لهذا الحماس المُتَّجه نحو الجميع. وبدون أن يكون المرء مُتزوِّجاً، يُبيِّن لنا أنَّ الحبَّ غيريّ (يُفضِّل حاجات الآخرين على حاجاته الخاصّة)، أي منفتح وقابل لتقديم ذاته إلى ''الغير''. وإذا كان الطريق الأقصر من الإنسان نحو ذاته يمرُّ بلقاء الآخر، فلأنَّ الله أراد الأمر كذلك وذكّرنا به في المسيح. حين نُقدِّم حياتنا نجدها، ويقول الربُّ: ''مَن يفقد حياته لأجلي يربحها'' (متى 16/25). هذا الخروج من الذات نحو الآخر يجد أساسه في المسيح، فأن ننقذ العالم لأجل المسيح، يعني أن نتيحَ لكلِّ شخص إمكانية تقديم ذاته حتى النهاية في جميع القرارات المُتَّخذة وجميع العلاقات المعاشة. والرجل والمرأة ليسا وحيدين حين يُقدِّمان ذاتهما الواحد إلى الآخر، فالله في صميم عملهما.

الله يهب لنا ذاته في فعل تقدمة ذواتنا:

الربُّ حاضر في صميم الأحداث، وخاصّة في الأفعال الحرَّة التي يقوم بها الرجال والنساء ذوو الإرادة الطيبة. وفي القبول الزواجي يقوم الربُّ بخطوة إضافية مع الزوجين، فيقول هو أيضاً ''نعم''. إنَّه يلتزم في قلبِ

حريّاتِنا البشرية و ''معها'' ولصالحها. وهو بالذات يهب ذاته ليُحبَّ الزوجين بما هما عليه، وليُحبَّ كلُّ شريك بالصورة التي هو عليها وتاريخ العائلة كلّه بالصورة التي يَتحقَّق فيها. هذه الخطوة الإضافية إنَّما هي قرار إلهيّ ملموس يَخصُّ تاريخ هذين الزوجين ونتلقاه بدورنا من خلال الإيمان بالكنيسة. نحن شهود لذلك في ليتورجيا الزواج وسنكون شهوداً أقلّ علانية أحياناً في مختلف مراحل الحياة الزوجية والعائلية. الله يسكن في قلب حياة الزوجين أكثر ممّا نتصوَّر أحياناً، فإذا إنتقل الزوجان إلى مسكنٍ جديد، جاء ليسكن معهما مع إحترامه الحريّة البشرية ''والكلمة صار جسداً وسكن بيننا'' (يوحنا 1/14). إنَّه فعلاً ''عمانوئيل'' الله معنا، وفي وجوده ضمان وقوة وتثبيت وتطلّب وحقيقة للعلاقة المتبادلة بين الزوجين.

الله يرافقنا في هبة ذاته المستمرة إلى كنيسته:

المسيح هو العطاء المُتجسِّد، وهو ليس إلاّ عطاء، فوجوده على الأرض وعلاقته بأعضاء الكنيسة يُعبَّر عنه بهذه الكلمة ''هبة الذات''. فيها نكتشف الحبَّ، ومنها تعيش في كلِّ لحظة الكنيسة، أي الشعب الذي أبرم معه الله ''العهد الجديد والأبدي''. هذه ''الهبة'' دائمة بحيث إنَّ روح يسوع بالذات هي التي تظهرها وتغمر الكنيسة بها.

يعني التَشبُّه بالمسيح وإتِّباعه وَمحبَّته الدخول في منطق العطاء هذا. إنَّها مُهمَّة مستحيلة بدون النعمة التي يُقدِّمها لنا. إنَّ حياة الكنيسة قوة وحيوية لأنَّها ترتبط بشكلٍ دائم بربِّها، ويقول إشعيا النبي عن ذلك: ''زوجكِ وخالقكِ''. وهكذا يحبُّ المسيح الكنيسة إلى درجة أنَّه يُقدِّم ذاته لها كعريسٍ شاب، عريس أمين ومُنتَبه، عريس لطيف وحنون، عريس شجاع وقويّ، عريس

صبور وخدوم. الرباط الموجود بين المسيح وكنيسته لا يمكن حلّه: ''سأكون معكم حتى نهاية العالم''، وكما يقول القديس بولس: ''هذا السرُّ عظيم، وأعني به سرَّ المسيح والكنيسة'' (أفسس 5/32)، فمن يُحبُّ المسيح يُحبُّ عروسه الكنيسة والعكس صحيح.

بواسطة سرّ الزواج، يضع المسيح العروسين الجديدين في مركز علاقته الزوجية بكنيسته، ويكون الزوجان في مركز النِعَم المتبادلة ومركز الحبِّ الذي يتقاسمه المسيح مع كنيسته. وأكثر من ذلك، كما في كلِّ قصة عائلية، يُدعى الزوجان إلى الشهادة لرباط الحبِّ هذا، وهما يُقدِّمان صورة عن هذه العلاقة في جسديهما بالذات. هذا ''السر'' العظيم صار ظاهراً وحاضراً في تاريخ البشرية وفي جميع أرجاء الأرض بفضل ملايين الأزواج المسيحيين الذين يُحبّون بعضهم بعضاً ''في الربِّ''. وهم يُقدِّمون بواسطة هذا الحبّ الأسراري علامة إلى الآخرين. إنَّهم يقولون، كلٌّ بلغته وعبر تاريخه، إنَّ الله مستمر في محبَّة شعبه بشكلٍ ملموس ودائم. ويكون الأزواج، وقد أشركتهم النعمة في رباط المسيح بالكنيسة، علامة مُميَّزة لمحبَّة الله لجميع البشر وفي جميع الأوقات.

إنَّنا بهذا الشكل نعي ضعفنا الذاتي وخياناتنا لمُخطَّط الله لنا ولكياننا الزوجي. في الوقت ذاته نتألَّم إذ نرى الزواج يفقد ''معناه'' في مجتمعنا المعاصر، وكثيراً ما يتمّ ذلك حتى لدى القريبين منّا. نحن بحاجة إلى حبِّ الله الخلاصي هذا.

أين أنت يا ربّ؟ لماذا تخلّيت عنّا؟ تعال يا ربّ لمعونتنا ولمعونة ''الزوجين والزواج''. أَعطِنا القوة، قوة روحك القدّوس، فالزرع يتأخر نموه ونحن مُحبَطون. أَعطِنا أن نتعرّف على العلامات التي يدعونا روحك القدوس

من خلالها إلى الشهادة! ساعدنا يا ربّ أن نُلبّي رسالة الأزواج المسيحيون في الكنيسة وفي عالم اليوم.

سمفونية الأسرار:

ليست الأسرار حركة معزولة ومُحدَّدة، بحيث لا تاريخ لها ولا نتائج لاحقة. فجميع الأسرار تَتعلَّق بنهر النِعَم الدفّاق الذي أجراه الله في كنيسته لأجل البشرية. وسرُّ الزواج ينمو ويزدهر ويعطي ثماراً في الحديقة الأسرارية التي يُقدِّمها الله لنا، وهو مرتبط بأسرار التنشئة المسيحية. إنَّه حقاً سرُّ رسالة. بمعنى آخر، في تناغم الفرح والتسبيح، الذي يمكننا الإصغاء إليه بقوة الروح القدس، كما يمكننا المشاركة به، يكون للزواج وقتاً مُميَّزاً في هذه السمفونية. إنَّه يشهد لحضور الحبِّ الإلهي في الحبِّ الزوجي والوالدي. لنصغِ إلى الموسيقى التي تعزفها هذه الأسرار الواحد مع الآخر والواحد لأجل الآخر.

الزواج والمعمودية:

لقد غُطِّسنا بالمعمودية في سرِّ المسيح الفصحي. فبعد أن خلَّصنا من كلِّ موت، نقوم معه. ولقد لبسنا المسيح بشكلٍ حميميّ، جسدياً وروحياً، ومن الآن فصاعداً ''ما أنا أحيا بعد، بل المسيح يحيا فيّ'' (غلاطية 2/20). حين نَتَّحد بالمسيح بهذا الشكل، لا نعود نملك أنفسنا، وبعد أن نكون قد قدَّمنا ذواتنا له، سوف نتحوَّل داخلياً ونتغيِّر إلى إنسان جديد.

تكتسي هذا السرّ منذ البداية مزايا الحبّ الزوجي، فكلٌّ مُعمَّذ يَتَّحد بالمسيح مثل ''العروس التي تَتَّحد بزوجها''. وهكذا من الطبيعي أن يرى

المُعمَّذ هذا العهد يزداد عمقاً في العلاقة الزوجية. بالزواج، يُعبِّر المُعمَّـــذون بكامل ذواتهم عن الرباط الزوجي الكائن بين المسيح وكنيسته. لقد ''دعاهم'' الربّ الذي يجذبهم الواحد بجانب الآخر للسير نحوه في شركة حياتهم. وهكذا يُثبِّت الزواج نعمة المُعمَّذ ويُكلِّفه برسالة في الكنيسة وفي العـــالم، وهـــي أن يُبيِّن كيف يُحبُّ المسيح الكنيسة والبشرية جمعاء بحبِّ الزوج الذي يكون حبّاً حصرياً وخلاّقاً وموحَّداً وثابتاً، راسخاً وأميناً.

منذ المعمودية نصبح أتباعاً للمسيح، والزواج يؤكِّد هذه الحقيقـــة، فـــأن نُحبَّ، يعني أنَّنا لم نعد مُلكَ ذواتنا، بل نُقدِّم ذواتنا إلى الآخر، ونتعلَّم أن نقول ''نعم'' بكلِّ كياننا، وأن نقولها بانتظـــام. والزوجـــان، فـــي إنـــدفاع نعمـــة المعمودية، يُقدِّمان ذاتيهما، الواحد إلى الآخر، ليُقدِّما ذاتيهما معاً إلى الله. إنَّها نفس حركة التخلّي عن الذات للانتماء إلى المسيح.

الزواج والمغفرة:

من يُحبّ فهو مدعو إلى أن يغفر كثيراً، وعلامات هذه المغفـــرة هـــي العطف والصبر والوداعة. المغفرة هي ''العطاء الذي يصل حتى المغفرة''. إذ إنَّها عطاء يَتجدَّد باستمرار. في أغلب الأحيان، يجب إعادة إكتشاف ســـرّ الزواج وهو عطاء من الربّ. الحبُّ ممكن إلاّ أنَّـــه يجـــب التَغلُّـــب علـــى المخاوف والجراحات وأخطاء الواحد تجاه الآخر، ودعم المؤمنين الآخريـــن ضمن الكنيسة.

السرّ أمر جوهري إذ ''الزوجان المُنعزِلان هما دائمـــاً فـــي خطـــر''. ''في'' الكنيسة و ''بواسطة'' الكنيسة يَتجدَّد الوعي لهذه ''الهدية'' ويَتعمَّق. يمكن لسرِّ المغفرة أن يزدهر على أرضية الحوار والاهتمام بتـــبرير الـــذات

وعلامات التواضع والسكينة. وبشكلٍ مقابل، هذا السرّ الذي يعيشه كلّ من الزوجين بمفرده وكلاهما معاً يدعم الحياة في الحقيقة. وحبُّ المسيح الخلاصي يُجدِّدنا في سرِّ المصالحة، فعندما نتلَّقاه ندخل بكلٍّ حريّة في التواضع والفرح. ويعني هذا السرّ إصلاح أنفسنا تماشياً مع محبّة الله والاعتراف بأنَّنا لا نستطيع شيئاً بدون نعمته. وأكثر من ذلك، قد يصدف أن نكون غير أمناء للحبِّ الموعود وأن نجرح الله بطرق مختلفة. حينها، تُجدِّد المغفرة الأسرارية القلب وتهب سلاماً قادراً على مواجهة الأزمات التي نُسبِّبها بالإضافة إلى المواقف الصعبة الأخرى.

وحين يكون الزوجان واثقين من مغفرة الله، يكون بإمكانهما تعميق تعابير حبِّهما ومسؤولياتهما العديدة. وكونهما زوجين، ما يمسّ أحدهما يمسّ الآخر، وهكذا يمكن لجراح وخطايا أحدهما أن تثقل كاهل الآخر. وعلى العكس من ذلك، تجعل المغفرة المتلقاة القلبَ منفتحاً وتجعل الزوجين في إتّحاد أكبر بالله والكنيسة، وهي مع محافظتها على الحياة الروحية الخاصّة بكلٍّ من الزوجين وعلى ضميريهما، المغفرة المتلقاة تنفعهما كليهما معاً. وما يُنمّي أحدهما يُنمّي الزوجين ويظهر بوضوح أو بشكلٍ سرّي في الآخر وفي العائلة كلِّها.

المغفرة تُطهِّر الحبَّ الزوجي وتقوّيه، والحبُّ الزوجي والعائلي يفتح ضمير كلَّ من الزوجين ليعي ضعف الآخر ويحمله ويغفره وكذلك ليُخلِّصه. والضمير الشخصي الذي يُميِّز الخطيئة والمغفرة يُنقّي الحبّ المشترك، ومَن يعفيه الله ''من ديونه''، مدعو إلى أن يفعل كذلك وأن يغفر حتى سبعين مرة سبع مرات (متى 18/21-22).

الزواج والافخارستيا:

لئن أُحتفِلَ بزواجات كثيرة دون افخارستيا. فإن التقليد الرعوي والتعليم المسيحي وكذلك اللاهوت الروحي والأسراري، يُشدِّدون كلُّهم على العلاقة بين السرَّين. العلاقة بين الزواج والافخارستيا جوهرية سواء أثناء الاحتفال بالزواج، أو في حياة الزوجين فيما بعد.

يكمن مصدر الحبِّ وقمَّته في الافخارستيا إذ يحضر فيها يسوع لتقديم ذاته إلينا وإلى أبيه. تُبيِّن لنا الافخارستيا، وتذكِّرنا بأنَّ عمل يسوع هو أن يُقدِّم ذاته حبّاً بنا، وأكثر من ذلك، إنَّه ''هبة الله''. والاحتفال بالافخارستيا هو الدخول في هذه التقدمة. يُقدِّم المسيح ذاته إلى الزوجين أثناء موافقتهما على الزواج فهو يقول معهما ''نعم''. إنَّه يلتزم بدوره، والافخارستيا تُبيِّن للزوجين إلى أي مدى يمكن أن يصل هذا الالتزام. وفي كلِّ افخارستيا، يكتشف الزوجان النعمة الخاصّة بهما: كيف يُقدِّم المسيح حياته حتى النهاية حبّاً بالآخر. يَتغذّى الزوجان في تاريخهما الملموس من محبَّة المسيح هذه. في الليتورجيا، نُقدِّم الخبز والخمر ليتحوّلا إلى جسد المسيح ودمه، هذا الخبز وهذا الخمر يرمزان إلى الجماعة: حياتها وجهودها والتزاماتها.

''اصنعوا هذا لذكري'' (لوقا 22/19)، عبارة لها يجب أن يكون لها معنى خاصّ لدى الزوجين المسيحيّين. حيث على مثال المسيح الذي بتقدمته ''جسده'' و ''دمه'' يُجدِّد العهد ''الأبدي''، أي عهد الأمس واليوم والغد، يُجدِّد الزوجين أيضاً عهدهما. ويتذكَّران ''العطاء'' الزوجي المتبادل لكلٍّ كيانهما، في الأفراح كما في الصعوبات، في السرّاء والضرّاء،.. إلى أن يُفرِّقهما الموت. ''بالمسيح وفي المسيح ومع المسيح''، يُمجِّدان الآب الذي وَهَبَهما الواحد إلى الآخر والذي يستقبلهما مُتَّحدين معاً به.

وهكذا يُمكن للزوجين أن يُقدِّما ذاتيهما وأن يكونا ''شريكَين'' في سرِّ المسيح الحيّ دائماً أبداً. بعد كلّ افخارستيا يدخل جزء منهما، وبالتالي حياتهما، في الله ويَتحوَّل ويَتَّحد بجسده السرّي. وهكذا نستنتج خصوصية سرّ الزواج: أن نقول ''نعم'' لها نفس بُعد ''نعم'' الله. وكما قالت مريم ''نعم'' لمشروع الله، كذلك يقول الزوجان ''نعم'' الواحد للآخر ولله الموجود ''داخل'' قبولهما هذا. إنَّه ''في'' فعل الحريّة ذاته.

يدعو الله الزوجين ويأخذ بأيديهما ليُقدِّما ذاتيهما وليتبادلا المغفرة. إنَّه يخوض مغامرة الحبّ معهما، وقد يُنكَر أو يُرفَض، إلاّ أنَّه يظلّ يسير على طريق الزوجين. أن يدرك الزوجان هذا الحضور الإلهي أمر جوهري. قد يكون هذا الادراك في سبات أو قد يلفّه الغموض، إلاّ أنَّ الزمن والسنين التي تتوالى كفيلة بتطويره، وغالباً ما يعي الزوجان ''بعد فوات الأوان'' ما هو ثمين في عطاء الربِّ، وغالباً ما يكون هناك فصول ''ربيع'' روحية جديدة تظهر في الرياضات الروحية أو في المناسبات العائلية كمعمودية أحد الأولاد والشفاء من جرح عائلي أو شخصيّ.

يتزايد عدد الأزواج الذين حين يشتركون معاً بالافخارستيا، يمسك أحدهم بيد الآخر أثناء تلاوة ''الصلاة الربية'' وحتى في رتبة تبادل السلام، يُقبِّلان حينها أحدهما الآخر. هذه العلامات الصغيرة الخارجية مليئة بالمعاني، فهي تُساعدنا على إدراك إتِّحاد الحُبَّين، حبُّ المسيح وحبُّ شريك الحياة.

تقدمة ورسالة:

بسبب كون الإنسان المؤمن ضمن هذه العلاقة التي تربط المسيح بعروسته الكنيسة، لذا تُؤسَّس علاقة الرجل بالمرأة ''على الصخر'' وتكون

مصدراً للرسالة (متى 16/18). ليس المسيحي أو الزوجان المسيحيان أو العائلة المسيحية مَن يختار رسالته الخاصّة، فكلّ رسالة هي ''دعوة'' نتلقّاها من الربِّ. الله مصدر كلِّ رسالة، فمنه نتلقاها ونُميّزها ونفهمها إنطلاقاً من واقع حياة الزوجين وإستناداً إلى النعمة الأسرارية.

قولنا إنَّ الزوجين يُكلَّفان برسالة، يعني التأكيد منذ البداية أنَّه لا يوجد زوجان يعيشان لذاتهما فقط. الكائن العائلي، هذا ''الاتِّحاد العميق بين الحياة والحبّ'' يفيض حبّاً مصدره يتجاوز الزوجين، وهذا الحبّ العفوي نوعاً ما مدعو إلى الانتشار والخصوبة والشهادة للحياة وللحبِّ الإلهي حيثما كان. هذا يعني، أن ندع غزارة ''المياه الروحية'' تنتشر في صحارى حياتنا الحديثة. وهكذا يمكن أن يكون للرسالة وجوه مُتعدِّدة ومختلفة، إلاّ أنّها تؤسَّس كلَّها على نعمة المعمودية ونعمة سرّ الزواج. والزواج هو إستجابة لدعوة جديدة. وكما أرسل يسوع في الإنجيل تلاميذه إثنين إثنين لإعلان البشارة الحسنة، كذلك يرسل الأزواج إثنين إثنين على طريق الحبِّ. يكون الأزواج في الكنيسة مثل ''المُكرَّسين''، فهم يتلقّون هبات خاصّة بهم ويُكلَّفون بواسطة نعمة السرّ بخدمة مُقدَّسة يؤدّونها.

الرسالة المشتركة لغالبية الأزواج هي الشهادة لحبٍّ أمين وثابت وقوي. وهذه الأمانة ليست فقط ''عادة جيدة" و ''مفيدة'' و ''ثمينة'' للجميع، بل هي مشاركة وإتّفاق مع أمانة الله بالذات لشعبه. حين يكون المرء أميناً وحين يحاول ذلك، إنَّما ''يَتصرَّف مثل الله'' في تاريخ البشر. النشاط الرئيسي للزوجين وللعائلة هو الشهادة لوجود الحبِّ. فذلك يقوّي الأجيال يوماً بعد يوم، ويشهد لرجاء يجتاز الوقت والمكان.

إنَّ خدمة الحياة عن طريق نقلها وتربية الأولاد أمر جوهري أيضاً،

وأفق هذه الأبوَّة والأمومة لا حدود له لأنَّه من الحبِّ. إنَّه يسمح ويُشجِّع على إعطاء ''طعم'' للحياة بكلِّ ما تحمله من معنى. لا يقتصر الأمر على الحصول على الأولاد أو الدعوة إلى الحياة أو الدفاع عنها، بل من المناسب أيضاً إيجاد في كلِّ لحظة معنى وطعماً للأبدية. إنَّ ربط الحياة البشرية بحياة الله لمُهمَّة مدهشة، وهي تدمج جميع العائلات في عائلة القديسين. الأهل هم المُربّون الأوائل على سرِّ الله. ففي العائلة يُبَشِّر جميع الأعضاء بعضهم بعضاً. نحن نعتبر أنَّ الصلاة نار تندفع من قلبَي الزوجين وتشفع لكلِّ منهما.

الجنس في الزواج المسيحي

تعليم الكنيسة عن الزواج مرتبط دون شكّ بالنظرة المسيحية إلى الجنس أيضاً. عليه يجب تلبية رغبة الدافع الجنسي الصحيح في إطار الحياة الزوجية فقط، وعلى هذا الأساس فإنَّ الأخلاق المسيحية تدين العلاقات الجنسية السابقة للزواج، كما تدين الخيانة الزوجية.

والزواج المسيحي هو إقتران رجل واحد بامرأة واحدة إقتراناً شرعياً لمدى حياة الزوجين. وعليه فإنَّه يَتَّصف بصفتين أساسيتين هما: إستمرارية العلاقة، وإنفراد العلاقة مع شريكٍ واحد. وكتعبير عن هاتين الصفتين تُؤخذ عهود الإخلاص والأمانة الزوجية على الزوجين عند الاحتفال بعهد الزواج. وهذه العهود تَتضمَّن المحبَّة والإخلاص والوفاء في الصحة والمرض، في السرّاء والضرّاء، وحفظ الإنسان نفسه للآخر دون سواه ما دام الطرفان على قيد الحياة.

وقد يتساءل البعض عن ضرورة هذه العهود ما دام الطرفان يُحبُّ أحدهما الآخر. والجواب على هذا التساؤل يقودنا إلى صميم طبيعة الزواج المسيحي نفسه. فمع أنَّ الحبَّ شرط لا غنى عن في الزواج السعيد، لكن الزواج يَتطلَّب ما هو أكثر من الحبِّ، إنَّه يَتطلَّب مع المحبَّة الالتزام الأخلاقي والشرعي. هذا يعني، إنَّ الزواج ليس إتفاقاً طبيعياً فحسب، ولكنَّه أيضاً قرار أخلاقي مؤسَّس على الاتفاق الطبيعي. إنَّ الزواج ليس مُجرَّد إحساس شخصين أنَّهما مرتبطان معاً بالحبِّ ولذلك يعطي أحدهما نفسه للآخر في علاقة جنسية، لكنَّ الزواج يتمّ عندما يعترف الطرفان بالترتيب الإلهي

لشريعة الزواج كرباط مُقدَّس، وإقرار الطرفين بأنَّهما مُرتبطان بهذا الربـــاط حتى الموت.

وعلى هذا يكون للزواج أساس ذاتي هو عاطفة الزوج والزوجة أحدهما نحو الآخر، وله أيضاً أساس موضوعي أيّ خارج عن الذات. وهـــو إقـــرار الزوجين بطبيعة الزواج كاتِّحاد فريد، يخلقه فيهما إختيارهما الحرّ للـــدخول فيه، وَتترَتَّب عليه مطاليب والتزامات، حقوق وواجبات. لهذا السبب تُعتَبَـــر الأمانة الزوجية عنصراً أساسياً في الزواج لأنَّها العامل الأخلاقي الذي يُثري ويُعمِّق الحبّ الطبيعي ويزيده قيمة وجمالاً. فعن طريق الأمانـــة الزوجيـــة، تصير المشاعر الطبيعية في الإنسان أمراً شخصياً تَتَّجه نحو شـــخص آخـــر مُحدَّد من جنسٍ مختلف، وعن طريق العهود تندمج العواطـــف مـــع الإرادة الشخصية في رباطٍ مُقدَّس يكون مُبرِّراً لأن يَتقبَّل كلّ من الشخصين لمخاطرة حياة العشرة الدائمة مع الشخص الآخر، هذه العشرة التي يهـــب فيهـــا كـــلُّ شخص نفسه للآخر.

ومن المؤسف أنَّ كثيرين في عصرنا الحاضر قد إبتعدوا قليلاً أو كثيراً عن هذه الصورة المثالية; وإبتدأ البعض يشكُّ في قدرتها على الصمود أمـــام تجارب الحياة المعاصرة. وقد ساهمت بعض النظريات الحديثة في زعزعـــة ثقة الناس في هذه الصورة. فقد قال بعـــض علمـــاء الأنثروبولوجيـــا (علـــم الإنسان): إنَّ المُثُل العليا للحياة الزوجية هي وليدة بعض الحضارات القديمة وهي بذلك نسبية وليست مُطلَقة، ومُتغيرة وليست ثابتة. وقال بعض علمـــاء علم الاجتماع إنَّ الحياة الاقتصادية والتغيُّـــرات الاجتماعيـــة فـــي الحقبـــات الأخيرة تركت بصماتها على قيم الحياة الزوجيـــة وأدخلـــت فيهـــا بعـــض التعديلات. وَحذَّر بعض أطباء النفس من الكبت الجنسي قائلين إنَّه يؤدّي إلى

الأمراض النفسية، في الوقت الذي نادى فيه أصحاب النظرة المادية الطبيعية عن إمكانية ممارسة الجنس قبل الزواج; وأضاف آخرون أنَّه من العسير أن يلتزم الإنسان بديمومة الزواج وإستمراريته، وتساءلوا: أليس من المُمكن أن نترك الباب مفتوحاً للتنصُّل من عهود الزواج، خاصّة إذا لم يعد الحبُّ قائماً بين الزوجين؟ ولماذا لا ننظر إلى الزواج كتجربة يُمكن أن تنجح أو تفشل، وفي حالة الفشل، لماذا لا نُعطى الفرصة لتجربة ثانية قد يكون حظُّها من النجاح أوفر من الأولى؟!!

أمام هذه الأسئلة ونظائرها، كان من الضروري أن ندرس بعناية وعمق فيما إذا كان نظام الزواج المسيحي قد أصبح غير ملائم للإنسان المعاصر، أم أنَّه مؤسَّس على حقائق متأصِّلة في الطبيعة الإنسانية لا تَتغيَّر، وبذلك فهو يستطيع أن يثبت أمام كلّ الظروف المُتغيِّرة في الحياة المعاصرة.

إنَّنا بعد الدراسة المستفيضة الموضوعية، وبعد تقليب جميع وجهات النظر، وإستعراض كافة النظريات السائدة في المجتمع المعاصر، وبالاستعانة بأحدث ممّا وصلت إليه العلوم الحديثة من أبحاث، وفي نور كلمة الله، نريد أن نؤكِّد أنَّ الزواج المسيحي بصورته المثالية التي ذكرناها وهي الاقتران الشرعي المُقدَّس بين رجلٍ واحدٍ وإمرأة واحدة مدى حياتهما معاً، مؤسَّس على أُسُسٍ أصيلة في نظام الحياة والطبيعة البشرية، وبذلك لا يمكن أن نتركه نهباً لتقلُّبات وتغييرات الأمزجة والظروف في مختلف العصور.

إختلاف وتكامل:

الفروق الجنسية بين الرجل والمرأة جزء من نظام الخليقة. هذه الفروق السيكلوجية والبيولوجية تشير إلى أنَّ كلاًّ من الرجل والمرأة ليس كاملاً

بمفرده، وإنَّ الجنسين يحتاج أحدهما إلى الآخر، ليس لإرضاء الرغبات والدوافع الجنسية فحسب، بل ليكمل أحدهما الآخر. هذا هو الأساس الوجودي الأنثروبولوجي للزواج. فبعد أن خلق الله آدم قال الله ''لَيْسَ جَيِّداً أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِيناً نَظِيرَهُ'' (تكوين 2/18) وبعد أن خلق الله حواء، قال الكتاب ''لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَداً وَاحِداً'' (تكوين 2/24). إنَّ القول «ليس جيداً أن يكون آدم وحده» لا تشير إلى حالة الوحدة أو العزلة النفسية فحسب، بل إلى حالة الوجود نفسه أو الكينونة... إنَّ آدم يحتاج إلى شخص ليكمله. والمُعين الذي يحتاجه الرجل ليس مُجرَّد فرد يقتسم معه العمل حتى يستطيع هو أن يصطاد أو يزرع، بينما تقوم هي بطهي الطعام وترتيب المنزل. ولكن المُعين هو شخص يُقدِّر جهوده، ويشاركه ميوله وإهتماماته، ويمنحه العاطفة التي ينالها بدوره منه أيضاً، ويثري حياته بأن ينتزعه خارج ذاته إلى دائرة أوسع في الحياة. وهكذا يكون الزواج رِفقة وعشرة دائمة، فيها يُحفِّز كلُّ طرفٍ الطرف الآخر ويَحثّه على أن يكون كاملاً، فهو ضرورة للتحقيق المتبادل للشخصية. وعلم النفس الحديث يؤكِّد لنا أنَّ الشخصية الإنسانية لا تنمو إلاّ من خلال تفاعلها مع أشخاص آخرين; وأنَّ مشاركة شخصٍ آخر في الحياة أمر لا غنى عنه لتحقيق النضج والحصول على السعادة، في الوقت الذي تكون فيه الحياة المنفردة المنعزلة مصدراً للتعاسة، ودليلاً على أنَّ هناك إمكانيات في الذات لم تَتَحقَّق. ولا يُمكن التَغلُّب على هذا الشعور بالعزلة والانفراد والانفصال إنَّما بالاتِّحاد الحميم مع شخص آخر.

فبدون الحبّ، الذي هو عطاءٌ متبادلٌ، لن يكون هذا الاتّحاد كاملاً، ويفشل في تحقيق هدفه. إنَّ عِشرة رجل مع امرأة واحدة بدون حبٍّ تصير

أمراً يبعث على الملل، وأقصى ما يمكن أن تُحقِّقه هو تحقيق بعض المصالح المشتركة للطرفين، لكنَّها لا تجمعهما معاً كفردين. الحبُّ يوفر للطرفين مدلولاً روحياً يستطيع به كلُّ طرف أن يَتخطّى إهتمامه بذاته ويشترك بعمقٍ في إهتمامات الشخص الآخر. هذا هو أساس السعادة الحقيقية في الزواج. وكما أنَّ العِشرة الكاملة مستحيلة بدون الحبِّ، كذلك فإنَّ الحبّ الذي لا يقود إلى العِشرة والمشاركة الكاملة لا يمكن أن يكون أساساً صحيحاً للزواج. وإهمال هذه الحقيقة هو السبب في تحطيم كثير من العلاقات الزوجية التي بُنِيَت على الحبِّ الرومانسي وحده أو الهيام المشبوب العاطفة.

إنَّ العبارة الشاعرية التي يُردِّدها الناس أحياناً والتي تنصُّ على أنَّ ''الحبَّ وحده يكفي'' تبالغ في تقدير الناحية العاطفية للزواج، وتعمي عيون المُحبّين عن رؤية الحقيقة الواقعية وهي أنَّ الحياة الزوجية ليست كلُّها ترديد قصائد الشعرِ والحبِّ والإغراق في الأحلام الوردية، ولكنَّها جهاد وصراع وكفاح، وإذا كان الحبُّ هشّاً ولا يستطيع أن يواجه صعوبات الحياة ومشكلاتها التي لا بدّ أن تحدث، فلن يدوم هذا الحبُّ طويلاً، وسوف يَتبخَّر أمام أقلّ خلافٍ أو سوءَ فهمٍ أو عند أيّة محنة تصيب العائلة وتواجهها.

إنَّ التكامل المتبادل لشخصين عن طريق الرفقة والمعاشرة لا يمكن أن يتمَّ إلاّ إذا توفرت النية المُخلِصة بأنّ هذه المعاشرة والعلاقة ستكون دائمة مدى الحياة. والعلاقة التي يدخل إليها شخص ما وهو يحتفظ في أعماق نفسه ببعض التحفّظات أو يَتصوَّر أنَّه من الممكن أن يقطع هذه العلاقة ويفصمها إذا لم تُحقِّق له السعادة، هي علاقة محكوم عليها بالفشل قبل أن تبدأ.

عطاء بلا تحفّظ:

إنَّ الشخص الذي يَتصوَّر أنَّه يستطيع أن يتزوج دون أن يعطي حياته

كلَّها لشريكه في الحياة، يجد نفسه وقد حجب جزءاً من ذاته من هذا الاتّحاد، وهذا في حدِّ ذاته يُعتبر زعزعة لأساس الزواج. فما لم يُعطِ كلٌ طرف ذاته كلّها للآخر بلا تَحفُّظ مدى الحياة، فلن يثق كلُّ طرف في الآخر، وبدون هذه الثقة وهذا الشعور بالأمان والاطمئنان، لن يجد أي من الطرفين شجاعة المخاطرة، ولن يكون هناك سلام حقيقي يقود إلى الاستقرار والتقدّم في بناء الأسرة الجديدة.

هذا فضلاً عن أنَّ ديمومة العلاقة الزوجية وإستمراريتها أمر ضروري لإعطاء فرصة للنمو التدريجي للفهم والتعاطف والانسجام المتبادل بين الزوجين. وبدون هذا الفهم وهذا التعاطف لن تتحقق السعادة. إنَّ كثيرين من أصحاب النظرة الرومانسية الخيالية يَتصورون أنَّه عندما يقع شخصان في الحبِّ، فسرعان ما تَتحطَّم الحواجز بينهما كما لو كان ذلك بقوة سحرية، وحالاً يتمّ الانسجام بلا معوقات. وقد يبدو الأمر كذلك في نزوة الانفعال الطارئ والحماس الوقتي. لكن الواقع يؤكِّد عكس ذلك بإنَّ عملية التفهم المتبادل والانسجام معاً عادة ما تتمّ ببطء شديد... ولعلَّ عدم إستعداد الشريكين لتَقبُّل وتَحمُّل معاناة هذا التكيّف البطيء هو السبب في كثير من حالات الطلاق التي تتمّ بعد حبّ جارف...

معظم الناس إن لم يكن كلُّهم يريدون حلولاً سريعة لمشكلاتهم، وهذا ضرب من الخيال. التكيّف السليم في العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة قد يحتاج إلى شهور وسنين أحياناً، كذلك تكيفهما معاً وإنسجامهما في أمور أخرى مثل الذوق، والنظرة إلى الحياة، والطباع، قد يحتاج إلى وقتٍ أطول. وهذا ليس شيئاً غريباً، إذ أنّ أنانية الإنسان وإهتمامه الزائد والمفرط بنفسه، وغير ذلك من المكونات المركبة في شخصيته تعوق قدرته على عطاء النفس

للطرف الآخر بلا حدود، وتحتاج إلى وقت وصبر لكي تجد طريقها إلى الاستقرار.

لذلك فقد صدق من قال: إنَّ أطيب الثمار في الزواج، نجنيها بعد وقت طويل; وإنَّ أجمل إختبارات السعادة في الحياة الزوجية نختبرها في السنوات المتأخرة بعد الزواج وليس في السنوات المُبكِّرة; على خلاف ما يظنّ الكثيرون.

رجل واحد، إمرأة واحدة:

الزواج بامرأة واحدة مدى الحياة هو الطريق السليم لاستقرار الدافع الجنسي عند الإنسان وتحويله إلى طاقة خلاّقة تسمو بحياة الإنسان الفكرية والأدبية. أمّا أنواع العلاقات الجنسية الأخرى بين الرجل والمرأة فهي قوة هدّامة للجانب الأدبي والروحي السامي عند الإنسان. قد يظنّ البعض أنّ لجوء الفرد إلى علاقات جنسية قبل الزواج وخارج الزواج قد يكون وسيلة لتخفيف التوتر عند الإنسان، ليتفرغ بعد ذلك إلى حياته العادية. لكنَّ الواقع يقول غير ذلك، لأنّ الدوافع الجنسية إذا أُشبِعَت بدون ضوابط وفي غير إطار الزواج، تصبح طاقة جامحة تستحوذ على فكر الإنسان وتمتصّ جزءاً كبيراً من طاقاته ووقته وَتُسخِّر كلَّ قوى الذات لخدمتها; وتكون النتيجة أنَّها تعوق نمو الاهتمامات الفكرية والروحية عند الإنسان. أمّا في إطار الحبِّ والإخلاص بين الزوجين، فإنَّ العلاقات الجنسية تصير تعبيراً رمزياً عن الحبِّ، وتكون واحدة من عدَّة إهتمامات أخرى مرتبطة بحياة الشخصين معاً وعلاقتهما بالمجتمع الذي يعيشان فيه.

إنَّ طبيعة الطاقة الجنسية إذا تمَّ ممارستها بمعزل عن إرتباطها بشخصية

شريك دائم، لا تستريح أو تهدأ، لكنَّها تتصاعد حتى تستحوذ الرغبة الجنسية على كلِّ إهتمامات الإنسان وتحتكرها لذاتها وتضحي في سبيلها بكلِّ شـــيء آخر. والزواج المسيحي يلائم الرغبة الجنسية في حياة الإنسان ويضعها فـــي مكانها الطبيعي ويعطيها أهميتها لكنَّه يُروِّضها ويُنظِّمها فـــي داخـــل إطـــار الوجود الإنساني الشامل.

إنَّ جماعة الزاهدين يقولون بأن الدافع الجنسي أمر حيـــواني جســـدي، وهؤلاء يَقبلون الزواج على أنَّه علاج للشرّ أو لمنع شرّاً أسوأ منه. إنَّ الجنس في ذاته ليس شرّاً لكن الإنسان الشرير يسيء إستعماله بسبب أنانيته. لأنَّه ما لم يتغلب الإنسان على أنانيته وإهتمامه الزائد بذاته، فإنَّه لن يستطيع أن يحبَّ المرأة كشخص لذاتها، ويظلّ يعتبرها أداة رخيصة لإرضاء دوافعه الجنسية. والزواج بامرأة واحدة وإن كان لا يضمن التغلّب على الأنانية، لكنَّـــه علـــى الأقل يُهيء المناخ المناسب للتغلّب عليها، وذلك لأنَّه يتيح للرجـــل والمـــرأة بعشرتهما معاً أن يتعاملا باعتبارهما بشراً لا أشياء، وأن يشـــارك أحـــدهما الآخر في إهتماماته، وأن يَتحمَّلا مسؤولية بعضهما البعض، وَكلَّما تَقدَّما فـــي هذا المجال فإنَّهما سوف يَتدرَّبان على تخطّي محبّة الذات.

وإذا سمح الله وبارك علاقة الزواج بإنجاب أطفال، فإنَّ تنميـــة مشـــاعر الأبوة والأمومة، والمشاركة في المسؤوليات الجديدة المُتعلِّقة بالأطفال، تساعد على تنمية الزوجين أخلاقياً لأنَّ دوافع جديدة تظهر في حياة الأسرة وأهداف جديدة تبرز أمامها. وهنا ينبغي أن نشير إلى خطر محاولـــة الهـــروب مـــن المسؤوليات والالتزامات تجاه الأطفال، بامتناع الزوجيـــن الاختيـــاري عـــن الإنجاب. فإنَّ هذا الإتِّجاه يزيد من أنانية الزوجين، إذ أنَّ حبَّهما يَتحوَّل إلـــى حبٍّ أناني غير مثمر، والحبُّ إذا تَوقَّف عن العطاء المستمر فإنَّه يَتعـــرَّض

دون شكٍّ للخطر. إنَّ وجود أطفال في الأسرة يُوسِّع إهتمامات العائلة، ويُدرِّب الزوجين على التضحية في سبيل الأطفال، ويزيد من شعور الزوجين بارتباطهما معاً في مسؤولية التربية، مُقوِّياً شعورهما بالمسؤولية الاجتماعية. وكلُّ هذه أمور ضرورية لتنمية شخصية الإنسان أخلاقياً.

لذا فالزواج المسيحي بامرأة واحدة مدى الحياة هو الشكل الملائم بين أشكال العلاقات بين الجنسين لتحقيق القيمة الحقيقية للمرأة: لقد كان العالم القديم يعتبر المرأة وسيلة لتحقيق غاية الرجل ومتعته; وكانت معاملة المرأة على هذا الأساس لا تسمح لها بحريَّة تقرير مصيرها. كان الرجل هو السيِّد وله الحقّ أن يستمتع بالعلاقة الجنسية مع عدد من النساء حسب أهوائه ولإشباع لذَّته سواء في وقت واحد، أو أوقات متتالية.

لكنَّ مثالية الزواج المسيحي تعطي للمرأة كرامتها وتُحقِّق المساواة بين الجنسين. نحن لا نَدَّعي أبداً أنَّ نظام الزواج وحده يستطيع أن يُغيِّر إتّجاه الإنسان وفكره. كثيرون يعيشون في ظلِّ شكل الزواج المسيحي، إنَّما بقيم ومبادئ لا تَقرُّها المسيحية. نحن لا ننكر أنَّ هنالك مَن يُعامِل زوجته الواحدة كأنَّها شيء وليس كشخص; ومَن يَتَّخذ خليلة وعشيقة بالإضافة إلى زوجته. وهناك أزواج لا يزالون يمارسون السيادة الطاغية في البيت. ذلك لأنَّه ليس من الضروري أن يكون الزواج بامرأة واحدة دليلاً على أنَّه زواج مسيحي. غير إنَّ القيم المسيحية في الزواج تنير الطريق وتضع الإطار الملائم للحياة الصحيحة، وتتيح الفرصة للإنسان إذا تَمسَّك بمبادئ المحبَّة والإخلاص والمساواة، أن يُحقِّق السعادة الحقيقية التي يريدها الله للإنسان من خلال أو في الزواج المسيحي.

لذا فإنَّ الزواج المسيحي هو أفضل من كلِّ مفاهيم الزواج الأخرى في

توطيد إستقرار الأسرة ورعاية الأطفال. فالعلاقة الواضحة بين المعاشرة الجنسية وإنجاب الأطفال دعت الكثيرين أن يعتبروا الإنجاب أهمّ أهداف الزواج إن لم يكن الهدف الوحيد.

إنَّ مرحلة الطفولة في حياة الإنسان هي الأطول زمناً، من طفولة سائر الكائنات الأخرى وبالتالي بحاجة أكثر إلى رعاية الوالدين، لذلك كان إخلاص الزوجين بعضهما لبعض، وإرتباطهما معاً مدى الحياة، أمراً ضرورياً لسعادة أطفالهما وإستقرار العائلة. فالطفل من وقت ولادته إلى وقت نضوجه يحتاج إلى عواطف الوالدين أكثر من أيِّ شيء آخر، وطبيعي أنَّه لن يجد مثل هذه العواطف بالصورة المطلوبة إذا كان أحد الوالدين منفصلاً عن الآخر، أو مُتورِّطاً في علاقة جنسية خارج الزواج. كما أنَّ الأطفال يحتاجون إلى الشعور بالأمان، وهذه الحاجة تعتمد على إستمرار المحبَّة والتعاطف والتشجيع من كلٍّ من الوالدين. ولقد أثبتت الإحصائيات التي أجرتها هيئات علمية موثوق بها أنَّ مشكلات التَشرُّد والانحراف عند الأحداث والشباب ترجع في المقام الأول إلى سوء العلاقات بين الأبوين أو إنفصال أحدهما عن الآخر، وما يَترتَّب على ذلك من خلافات في الأسرة بين الأبناء ووالديهم، أو بين الأخوة غير الأشقاء بعضهم مع بعض. وليست حاجة الأبناء إلى والديهم قاصرة على مرحلة الطفولة والشباب فحسب، بل أنَّه بعد أن يكبر الأبناء والبنات وَيستقلون عن والديهم، فإنَّهم يحتاجون إلى دفء محبَّة الوالدين والشعور بالانتماء إلى أسرة مُتَّحدة.

حياة الزوجين معاً لفترة طويلة من الزمن، مقرونة بالرقة والرفقة والمشاركة في مباهج الحياة وأحزانها لذات الهدف، سوف تعمل على تآلف روحيهما بصورة أعمق، حتى تصير العلاقة بينهما روحية أكثر منها جسدية.

ومن غير المُتوقَّع أن ينفصلا عن بعضهما البعض بعد هذه المدة الطويلة من المعاشرة، ولو حدث إنفصال في هذه المرحلة، فإنَّه يكون مُفجعاً أكثر ممّا لو حدث في سنوات الزواج الأولى. إنَّ الشعور بالفراغ والوحدة في السنِّ المتأخرة من أشق الأشياء على النفسس؛ ولو أنَّ طرفاً منهما وجد نفسه مدفوعاً إلى زواج آخر ليملأ فراغ وحدته وحياته، ففي الغالب ستكون سعادته ناقصة ولا يمكن مقارنتها بسعادته فيما لو عاش مع شريك عمره في هذه السنِّ المتأخرة، كما أنَّه لن يجد ذكريات جميلة غالية يعيشها في حياته الزوجية الجديدة. وحتى علاقة الأب أو الأم بالأولاد لن تكون حارة ودودة عندما يزور الأولاد والأحفاد بيت الأسرة الكبيرة طلباً لحنان ودفء الآباء والأجداد.

وهكذا يَتَّضح لنا أنَّ العلاقة الزوجية في نظام الزواج المسيحي هي العلاقة المُثلى بين الرجل والمرأة; وبينهما وبين الأولاد، لأنَّ هذه العلاقة هي التي أعلنها الكتاب المُقدَّس باعتبارها مشيئة الله الأصلية في خلق الرجل والمرأة؛ وهي العلاقة التي تَتطلَّبها ضرورة الوجدان الإنساني أيضاً.

الزواج
أفراح وأحزان

هذه المرّة نتوقف عند محطّة ''سرُّ الزواج''، للغوص والتأمّل في هـذا السرّ الكبير الذي يحمل في معانيه أولى خطوات الأسرار. فهو السـرّ الأول في البشريّة؛ يُمكننا إعتباره الأول، لأنّ الكتاب المقدّس، عندما أرسى الـربّ الإله أساسات الخلق ووضع لمساته الأخيرة في تزيينه، جعل بإرادة الـرب الإنسان ذكراً وأنثى، لكي يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأتـه فيصـيران كلاهما جسداً واحداً؛ وما جمعه الله لا يُفرِّقه إنسان.

لقد توقف الكثيرون من شرّاح ووعاظ عند هذه العبارات وبنـوا عليهـا الفكر والنهج والتطلّع، لأنَّ إرادة الربّ في إتّحاد شخصين لا تكون إلاّ نهائية بحيث لا يُفرِّق بينهما إلاّ الموت.

إنَّ سرَّ الزواج يُشكِّل أساساً في نهج حياة الإنسان المؤمن الملتزم. لقد تهجّم عليه الكثيرون، بسبب نظرتهم القانونية تجاهه. لكنَّنا عندما نلقي عليه النظـر على ضوء قيمته المسيحيّة، الإنسانيّة والإجتماعيّة، لا يُمكننا إلاّ أن نكشـف عن جمالاته. ومتى قلنا ''جمالاً''، فإنَّ هذا لا يعني الأمور السـهلة بـدون تعب وبدون عُقد ومشاكل. لكن الجمال هنا يكمن في إرتفاع شأن الإنسان إلى مستوى ''مُشارِك في الخلق وفي الجواب على طبيعة الحياة''. تمامـاً كمـا أوجدها الله وكما أرادها أن تكون وأن تسير. وهذا يعني تحقيـق الأهـداف الكبيرة التي تضفي على الحياة معناها وعلى الإنسان حقَّ وجوده وهي:

– عيش اللّقاء والشركة والحبّ.

– حمل المسؤوليات، والوعي على واقع الإنسان فينا وإطلاق قدراته.

– محاولة الالتزام والتمسّك بهدف مُعيَّن في الحياة.

– إستعمال اللّذة بكلِّ نواحيها، مع توجيهها إلى هدفها الأعلى وغايتها السامية في شركة الخلق وشركة التواصل بالحبّ.

الزواج مشروع حياة كاملة، كما ذكرنا: لقاء، خلق، مسؤولية والتزام. تبدأ هذه الحياة بفرحة، ثم يدخل فيها ''الغموض''، بعض الضباب، بمعنى ''المخاطرة – المجازفة''. لكنَّ للدافع للزواج طاقة أقوى وهي تجعله ينجح حتى يصل إلى هدفه. لذلك، في مشروع الزواج لا يعيش المرء حياته خطاً مستقيماً، إنّما يسير خطّ حياته بحريّة، أحياناً يميل شمالاً وأحياناً أخرى نحو اليمين، يتراجع بعض الأوقات ثم يعود ليتقدّم. يُمكننا أن نرسم حياتنا في الزواج وأن نجعل منها صورة جميلة عندما يمسك كلٌّ من الزوجين طرف هذا الخيط ويسيران به بكلِّ حريّة وبكلِّ إرادة صالحة وثابتة، حتى يوجِّهانه بطريقة سليمة ليَخطَّ لهما الدرب الذي يتجاوب مع تطلّعاتهما إلى الإزدهار.

تعاكسنا الحياة فنحاول مقاومتها، تغلبنا فنتراجع، نغلبها فنتقدّم. فلا نقل أنَّ كلّ شيء ضدّنا؛ إنّما إذا نظرنا نظرة واقعيّة إلى عيشنا نجد أشياء كثيرة حلوة، جميلة، طبعاً ليس كلّ شيء وليس بالكمال. ما يخلق جمال الكون، هو إختلاط الجمال الإلهي الذي هو الجمال بحدّ ذاته، مع واقع الإنسان. هذا هو هدف الزواج، أن يمتزج جمال الله في إرادته الحسنة، مع واقع الإنسان في جديّته ومثابرته. هكذا تَتحقَّق العائلة المسيحيّة.

العائلة هي ركن المجتمع وركن في الكنيسة أيضاً. إنّها الكنيسة البيتيّة التي منها تنطلق ''حضارة المحبّة'' في مواجهتها ''لحضارة الموت''. لقد أسَّس يسوع حضارة المحبّة منذ ولادته على الأرض وذلك في قلب العائلة

المُقدَّسة. فالعائلة المسيحيّة هي ضمانة للقيم المسيحيّة لأنّها ترسي قواعـــدها على ثلاث ركائز:

- ترتكز على الإيمان بالله الثالوث الذي يفيض حبّه على البشر كلِّهم.
- ترتكز على الإيمان بالكنيسة وتعمل فيها لتُحقِّق دورها. لـــذلك هـــي رسولة، أي الرسولة الأولى التي تحمل البشرى للإنسان منذ حداثته، فتطبـــع صورة المسيح وتأتي الكنيسة فتُكمِّـــل هـــذه الصـــورة مـــن خلال التعـــاليم والأسرار.
- ترتكز على الإيمان بدورها الرسولي، أي نشر الملكوت مـــن خلال الشهادة للإنجيل ''أي إنَّها تحكي عن المسيح المكتوب، الكلمة المطبوعة ليس في كتابٍ من ورقٍ، بل في كتابِ الحياة''، من خلال الاستشهاد، أي الموت، عن الخطيئة لتأسيس الملكوت وتوطيده. إنّه مملكة المحبّة التي صارت اليوم ''حضارة المحبّة''.

أحزان الزواج:

أمام هذه الباقة من ورود وأشواق الحبّ الذي قدّسه الربّ، نرانا نصطدم بعرش من الأحزان والأشواك التي بها تُوّج رأس يســـوع الفـــادي. فلا بـــدّ للعائلة، وبالأخص العائلة المسيحيّة التي تاجها من ورد، من أن تشترك بتاج المسيح للحفاظ على رونق ورودها. لذا سوف نَتحدَّث هنا عن هذه الأحـــزان والأشواك. وباختصار، يُمكننا تحديدها بعشر شوكات تنفذ إلى أعماق الزواج والعائلة، لتُذكِّر أبناءها أنَّ السعادة لا تدوم إلاّ بعـــد المـــرور فـــي طريـــق الأحزان، إلاّ إذا علَت فوقَ الأشواك.

1- فقدان الحوار والإصغاء:

الإصغاء والحوار عنصران أساسيان في العلاقات الإنسانيّة والتواصل بين الناس، وهما ضروريان في البيت الذي بنى أساساته على الصخر.

يُساعد الإصغاء على إنفتاح الأشخاص بعضهم على بعض، وتكون النتيجة فهم بعضهم البعض، بحيث يعطي الواحد للآخر الحقَّ في الكلام والتعبير وإيصال ما عنده من معاناة وأفكار.

من أهداف الإصغاء، أنّه يجعل الحوار ناجحاً وبنّاءً، لأنّه يؤدّي بالإنسان إلى فهم الغير والتفاهم معه وإلى تصويب الكلام والأفكار والتطلّعات نحو جوهر المشكلة لحلّها. أمّا الحوار فإنّه يُساعد على الشرح والتوضيح وعلى جعل الأمور على بساط البحث للخروج من الغموض وكسر كلِّ جليد وسدِّ الطريق على العزلة والإنعزال. كما يجعل الحوار إلى أن تتعاطى الناس مع بعضها البعض بطريقة غير إصطناعيّة، إنّما بشكلٍ طبيعيّ كما ويساعدهم على قبول فروقاتهم وإختلافهم والقناعة بما عندهم. يؤدّي الحوار إلى التفاهم وتخطّي العقبات التي تعترض مسيرة الزوجين والعائلة. لكن عندما يُفقَد الحوار في قلبِ البيت الواحد، هذا يعني، أنَّه يدفع الأشخاص إلى الإنعزال والسقوط بكلِّ نتائجه: كالغضب، والحقد، والتخيُّلات الشريرة والافتراء، وتناقل الكلام مع الزوائد والاضافات المؤذية، والافتراضات والتأويلات الوهميّة؛ هذا بالإضافة إلى الرفضيّة وروح الإنتقام والتخلّي عن الغير حتى إرادة موته... أمّا فقدان الإصغاء، فإنّه يرمي بأصحابه في التَحجُّر والتَمسُّك بأفكاره الخاصّة حتى درجة الانغلاق والعيش ضمن حدود ضيقّة ومجالات غير واسعة وعدم القبول وبالتالي الغرور. هذا هو شرّ كبير يُعطِّل الحياة وفرحها، ويؤدّي أحياناً كثيرة إلى خرابها.

2- فقدان الثقة:

إذا عُدنا إلى الأصل الأجنبي لكلمة ''ثقة'' نجد فيه معنى ''وضع ما هو خاصّ به عند الغير ومعه''. وبالمعنى العامّ نفهم بالثقة هذه الراحة والإرتياح للغير إلى درجة أنَّنا نُصدّقه ولا نطرح الأسئلة حول ما يقول وحول ما هو ملتبس بالنسبة إلينا. والثقة عادة لا تكون من جهة واحدة وإلا إنكسرت، إنّها تكون مُتبادَلة. ثقة الواحد تولد ثقة الآخر. وما يفقدنا الثقة هو الخوف، وعدم الوضوح، والقلق والاضطراب، وعدم السلام. وعندما تضيع الثقة تكثر الشكوك والظنون ونفقد السلام كلياً. تضيع الثقة عندما نستند على معطيات مغايرة لتوقعاتنا ومخالفة لاتفاقاتنا ومعاكسة للحقيقة. وغالباً ما تبدأ الظنون والمخاوف. ما يساعد على إزالتها كلِّها هو الحوار والإستيضاح، والتَدرُّب على الصراحة دون قلق على نتائجها. نبني الثقة من خلال الصدق والشفافية ومن خلال عيش الحقيقة ومطابقتها مع الواقع الذي نعيش.

3- فقدان الراحة:

إنّنا نعيش في عصرٍ مشهور بالسرعة وكثرة المُتطلَّبات، لذلك نرانا مُنهَمكين بشؤون كثيرة وهي ضروريّة، ولذلك يتعب الإنسان. ونحن لا نعرف الراحة، إذ نعيش نوعية حياة مُضطرِبة، فنعتبر أنَّ الراحة نوع من ضياع للوقت، بينما هي في الواقع جزء لا يَتجزّأ من عملنا، لأنّه بدون راحة، لا يمكننا العودة إلى العمل والإنتاج. نحتاج إلى تنظيم عملنا وراحتنا بشكلٍ متناغم للنجاح. فكثرة الهموم تؤدّي إلى فقدان السلام، وبالتالي لا يعود أهل البيت الواحد قادرين على الإصغاء والتفاهم، يفقد الإنسان التركيز على الأشخاص بسبب الإنهماك بالأشغال.

تحتاج العائلة كثيراً إلى الاحتكاك العاطفي وليس فقط إلى أداء الفروض والواجبات. كلُّ إنسان عنده حاجاته الشخصيّة، وعلى الآخر أن يكون حاضراً كي يشعر بها حتى يساعده على ترتيبها وتلبيتها. عندما لا نكون مُرتاحين تتعب الأعصاب، وتكثر الأزمات العصبيّة، ولا يعود هنالك صبر وطول أناة، وبالتالي تكثر المشاجرات والخصومات والزعل...

4- فقدان الاحترام:

الاحترام يعني إعتبار الشخص الآخر في كلِّ مقوّماته الفكرية والإنسانية والروحية وغيرها. يُتَرجَم هذا الإعتبار بالتقدير، باعطاء الحقّ، وبإعطاء الدور والمسؤولية. غالباً ما ينكسر الاحترام بالتسلّط أو باستصغار الآخر، بحيث يُركِّز المرء على نقطةِ ضعف الآخر ويتعامل معه من خلالها بدون إعتبار غير نقاط القوة والقيم عنده. بمعنى آخر يزيد في فتح جرحه حتى يؤلمه أكثر فأكثر، وبالتالي لا يعود عنده قدرة على الخروج من مشكلته. أمّا من ناحية ثانية، فإنَّ عدم الاحترام يقوم على جهل الشخص، وعلى الاعتداد بنفسه وغروره إلى درجة يُغطّي عدم مقدرته الذاتية بإهانة الآخر. أمّا الدرجة الثالثة من عدم الاحترام فتعود إلى تكبُّر الإنسان الذي يريد التعالي بدون الاستناد إلى معطيات كافية، فيَتعلَّق بالشكليات ويفقد الجوهر، لذلك نرى الكثيرين يَتمسَّكون بسخافات يعتبرونها أساسية للتعاطي مع الغير لأنّهم لا يملكون غيرها، وبالتالي يحكمون جوراً على غيرهم، وبالأخص إذا كانوا يملكون بعض المُعطَيات المادية تجعلهم يشعرون أنَّهم يتفوَّقون على غيرهم. هذا النوع من الاعتداد بالنفس الشكلي لا يدوم إلى أن يفتضح أمره عندما تبرز حقائق الأمور التي تفرض ذاتها.

5- فقدان الروح والانغماس بالمادة:

يعتبر الكثير من الناس أنَّهم مؤمنون ولقد وفوا الله حقّه ببعض الصلوات وبعض العادات والتقاليد الموروثة بدون فهم، أو ببعض التقادم يرفعونها إلى الكنيسة وذلك وفاءً لواجب مراضاة الله لكي يُبعد عنهم المصائب والويلات، أي عطايا نابعة من شعورٍ بالخوف يريدون تغطيته بأمور مُحقَّة. أمّا فيما يختصّ بحياتهم وعيشهم، فهو يرتكز على كلٍّ ما هو غير حضور الله والإيمان. المهمّ أن تكون الأشغال ماشية والربح كثير حتى ولو على حساب الضمير. حتى التعاطي مع شريك الحياة وشركاء البيت مرهون بما هو ''ربح''، لا تعود القيم الإنسانية والروحية رائدة في العلاقات، بل حسابات أخرى هي تدير العلاقات.

كم من العائلات يفقد بعض أفرادها الأخلاق وتفلت كلُّ حدود التهذيب والاحترام الى درجة جفاف العاطفة. كم مرة نجد عائلات لا يَهمُّها الله ولا يَهمُّها الإنجيل ولا الكنيسة، كلُّ الهمّ عندها هو أن تأكل وتشرب وتمرح وتلبس، هذا هو واجبها قد أمّنته ولقد أدّت دورها. الباقي لا يَهمّها؛ إنَّه يخصّ أولئك الروحانيين ''المُعقَّدين''. نلاحظ عند هذا النوع من الناس أنّ القاعدة الذهبية عندها هي ''الأنانية'' بدون أن يقولونها. ما يَهتمّون به هو الراحة الشخصيّة، فلا يُحرِّكون أصبعاً نحو القيم، يعتبرون أنَّ السعادة في إمتلاك كلّ ما يريدون والقناعة بعيشة مكتفية ذاتياً. وعندما تنقص المادة تبدأ التعاسة. ليس عندهم غنى داخلي، متى فقدوا كلَّ شيء. هذا النوع من الانغماس في المادة يفقد المرء شعوره وإحساسه ويجعله جافاً. متى كان أحد أعضاء العائلة بهذه النفسية حَوَّل العيشة إلى معاناة.

6- تصارع الأجيال والعقليات:

لكلِّ إنسان خبرته وميزاته وطبعه؛ هذا يتأتّى من الخبرة والعمر، ومن التربية والعوائد والعادات. نعتبر أحياناً كثيرة أنَّ فارق العمر يولد النزاعات بين أفراد البيت. هذا ليس بصحيح بشكلٍ عام. نرى أحياناً كثيرة أنَّ الأحفاد يَتَّفقون مع الأجداد وأنَّ الأهل يَتفهَّمون أولادهم أكثر من الأولاد فيما بينهم. فارق العمر ليس بمشكلةٍ ضرورية لخلق النزاعات. ما يخلقها هو الفرق في العقليات وما بين العقليّة المُتحجِّرة والعقليّة المتساهلة إلى درجة التفلّت، وما بين العقليّة المُترفِّعة إلى درجة الضياع في المثاليات وفقدان الواقع، والعقليّة المادية المحضة، التي لا تحسب إلاّ حساب الأمور الماديّة متناسية ورافضة الأمور الروحية والمعنوية. وهناك أيضاً العقليّة الرجعيّة التي تتعلّق بالماضي وأمجاده ولا تعرف إلاّ ما يريحها ممَّا إعتادت عليه، ولا يمكنها أن تتزحزح من أفكارها وإلاّ فقدت سلامها وتعبت. والعقليّة المُتطوِّرة العصريّة التي ترفض الماضي وكلَّ ما هو تراث ولا تُركِّز إلاّ على ما هو جديد عصري، هذا ما يُعطيها الفرح والسعادة.

فقدان الانسجام بين هذا التنوّع من العقليات هو الذي يولد النزاعات والتصارع، بحيث يريد كلٌّ منها أن يسيطر على الساحة ويزيل غيره من الوجود مُعتبراً أنَّه الأصح والباقي غلط. أمّا ما يلزم فهمه فهو إعتراف كلِّ عقلية بالأخرى ومحاولة إيجاد التناغم معها والانسجام مع تطلُّعاتها، لأنَّ لها قيمة بحدِّ ذاتها وذلك لخلق الساحة للكلِّ حتى يجدوا مكانهم، ويتراجع كلٌّ منها أمام الأخرى لتجد مكانها معها. هذا هو الاحترام وهذا هو النجاح في التناغم وليس فقط في التعايش.

7- تضارب المصالح:

ما يُخرِّب الزواج ويدمِّره هو ''المصلحة الشخصية''. هذه الكلمة تزعج الصفاء في النوايا، بحيث يُركِّز الإنسان على أنانيته ولو كانت على حساب الغير وخرابهم. كلُّنا نرفض هذا الوقع، وغالباً ما تتكسر الصداقات وتنقطع العلاقات في الحلقة الواحدة بسبب بروز هذه الآفة. يُعلِّمنا الضمير والإيمان أنَّه على المرء أن يُفضِّل المصلحة العامة على المصلحة الخاصّة، وهذا يقتضي منه التضحية، التواضع والوداعة، البذل والحسّ الجماعي. هذا كلُّه يساعد الإنسان على عيش روحانيته العمليّة التي تكمن في العطاء والمشاركة.

عندما يبدأ كلُّ إنسان يعمل لحساب مصلحته، تبدأ عندها صراعات المصالح فتُدمِّر كلَّ ما يكون بناه الناس وتعبوا عليه. أخطر ما في ذلك هو عندما تلعب المصالح الخاصّة فيه، فإنّها تبنيه على أُسُسٍ كاذبة التي غالباً ما تخور وتتلاشى وتزول ويخرب الزواج معها. عندما تلعب المصلحة دورها يبرز بوضوح عمل ''الأنانية'' التي تكون في أساس أغلاط كثيرة وبشاعة العيش.

8- جنوح الطبيعة:

المقصود هنا ضعف الطبيعة البشريّة التي يستغلّها الشيطان ليوقع بالإنسان في حبال تجاربه وبالتالي يجعله يسقط في الخطيئة حيث تدبّ بين أفراد العائلة روح الحزن والحقد والرفض، وبالتالي يفصل بينهم وبين الله ويوقعهم في الدمار. الطبيعة البشريّة ميالة مع كلِّ ريح. والتجارب مُتعدّدة إنطلاقاً من روح التحرُّر، روح الإنفتاح على كلِّ جديد وكلِّ مُباح، وروح

التفرّد والانغلاق، وروح المرح والتساهل بخلق جو الضحك والنكتة... كلُّ هذا يعطي للإنسان مُبرِّرات لكي يتساهل مع ذاته إلى درجة التسامح حتى تخطّي كلّ الحدود. مبادئ عصرنا جيدة لكن يلزم التعاطي معها بروح الخبرة والنقد، وبروح الحيطة والحذر لئلا تخدعنا. من هنا ضرورة تقوية الإرادة ضدّ التجارب من خلال الصلاة والتمرّس الروحي لتُشكِّل حصناً منيعاً ضدّها. إنَّنا نعيش بعض ''الإباحية'' بكلِّ معنى هذا العنوان العريض. أي لم يعد هناك مُحرَّمات؛ فمع التكنولوجيا والتطور أصبح الإنسان يعيش في عالمه الصغير ومن خلاله يدخل إلى حيث لم يكن قادراً ولم يكن يسمح لذاته بالولوج فيه. هذا ما كسّر قيوداً كثيرة. فإذا لم نكن مُحصّنين بقوة الإرادة والإيمان والتمسّك بالقيم المسيحيّة نسقط بسرعة في زلاّت لم نكن نقصد الدخول فيها. لذلك علينا أن نتدرّب في حوارنا وروحانيتنا على معرفة إنتقاء ما يفيد وتحاشي ما يؤذي. ومتى كانت الطبيعة ضعيفة وأسقطتنا في معاثر الخطيئة، ليس لنا إلاّ باب الغفران والمسامحة والتوبة، هناك نجد العودة إلى الحياة بعد السقوط في الموت. يقول المثل: ''درهم وقاية ولا قنطار علاج''.

من هنا ضرورة: التحفّظ بالكلام والإيحاءات، السهر على النظر والسمع، توطيد الحبّ داخل البيت والتفاهم لإعادة الحياة دائماً إلى مجراها الصحيح. هذا بالإضافة إلى الصلاة وتوطيد رباط الحبّ والسلام برباط الروح القدس الذي يقوّي في الشدائد. هكذا نصون الحبّ المُقدَّس من قِبَل الربّ، وهكذا نعطي لطبيعتنا قوّة تساعدها على مواجهة الجنوح.

9- إنهيار الصحّة:

يَتعرَّض الجسم الإنساني لهجمات الضعف ممّا يؤدي إلى مرضه. وتكون الأمراض على صعيدين، أولُّهما مرض الجسد البيولوجي. يشهد عصرنا

الكثير من الأمراض المستعصية وأصعبها الأمراض الطويلة الأمد والمزمنة، ممّا يخلق حالات قلق وخوف وحالات إرتباك في قلب العائلة وهذا يَتطلّب مجهوداً كبيراً من الصبر والاحتمال ومن الرجاء، لئلا يقع الجميع في اليأس والانهيار. الحضور الدائم إلى جانب المريض، تَحمُّل نفسيته المُرهَقة، خلق الجو الملائم لمساعدته، إنتظار النكسات الكبرى المفاجئة، حمل صليب الألم... كلُّها حالات صعبة تقتضي جهداً كبيراً وإيماناً عميقاً لمتابعة مسيرة العيش إيجابياً. أمّا الصعيد الثاني فإنّه الصعيد النفساني بحيث يكون الشخص يُعاني من جروح نفسيّة تؤدّي به بعد صدمة أو تعب وإرهاق إلى فقدان الإتّزان النفساني والعاطفي، فيقع في ما نُسمّيه العوارض النفسيّة التي تُشكِّل على مدى تفاعلها حالات نفسيّة مَرَضيّة.

تدخل هنا العائلة في حالةِ صراعٍ مُؤلِم وتعيش معاناة كبيرة تتطلّب الصبر والاحتمال إلى جانب العلاجات الطويلة والبطيئة. هذا النوع من الأمراض ''النفسيّة والصحيّة'' المُزمنة، يُشكِّل صليباً كبيراً يحمله جميع الأفراد ويؤدّي إلى وضع الجماعة، العائلة أو الزوجين، في ظروف صعبة لا تحتمل أحياناً وتكون نتيجتها الفشل.

10- ضياع الإنتماء:

إنّه لأمر طبيعي إذا حافظ البيت الزوجي الجديد بعلاقته مع أهلِ كلا الزوجين وأن يسمح بَتدخُّل العائلات والأهل في شؤون البيت الجديد الخاصّة. لكن هذا ما يجعل أحياناً كثيرة أحد الزوجين ينزلق – بعدما يكون عنده الاستعداد المسبق– نحو التعلّق بالأهل أكثر من بيته الزوجي. حينئذ يفقد نوعيّة إنتمائه ويضيع عن خطّ التزاماته وواجباته نحو العائلة الجديدة التي

أَسَّس وهو مسؤول عنها. ولكن هذا لا يفرض على الأشخاص التنكّر لوالديهم ورفض التعاطي معهم. ما نقصده هو خلق الفراغ في الانتماء إلى البيت الجديد، بسبب عدم التَمكُّن من التحرُّر من القديم. فالزيادة في الانتماء الأول تنقص من الانتماء الجديد وهو الذي له الأولوية والأحقّية. غالباً ما يفشل الزواج لهذه الأسباب التي تبدأ عادية ثم تَتطوَّر لتزيد وَتُثقل الحياة، فتولد الفراغات والغيرة والانتقاص من حقوق الشريك على حساب الغير.

11- الفشل في التربية:

هذا النوع الأخير من أشواك الحياة الزوجيّة نريد التحدّث عنه تاركين الباقي للمجهود الشخصي. حيث تدخل العائلة في أزمة عندما لا يعود الولد مُطيعاً بشكل دائم، يعيش العصيان، ويخلق نمط حياة شخصيّة بعيدة كلّ البعد عن الجو العائلي، فينساق وراء الأهواء ويطلق العنان لعيشة التبذير، الفلتان، والفوضى. يُفتِّش عن كلِّ ما يروي حاجاته ولو غير مشروعاً وغريباً عن مبادئ الحياة العائلية... في هذه الحالة يشعر الأهل بالفشل، فيعيشان أزمة الخوف والقلق، إمّا يتركان الولد بدون أي مقدرة، مُستَسلمين. وإمّا يقسوان عليه فيتَّخذان الإجراءات القوية لردعه وضبطه.

تُشكِّل التربية جزءاً كبيراً من الحياة الزوجية: فتتطلّب السهر، والحوار، والاقتراب، والتفاهم، والمرافقة والحضور الدائم. هكذا يشقّ الأهل طريق ولدهم بخلق الأجواء السليمة والصحيّة له، ليس فقط بأداء واجباتهم نحوه، إنّما وأيضاً بتأمين الجو المناسب لنمو صحيح من خلال إحترامهما لبعضهما ومن خلال عيش حياة مشتركة سليمة وناجحة.

يجب ألاّ نخاف من الفشل. فلنحوّل الولد إلى مرشد يفيدنا. مرشد يساعدنا على مراجعة حساباتنا لدرس أسباب الفشل والتغلّب عليها. كما أنَّ

المرشد يُعلِّمنا على عيش التواضع، أي نتعرّف على محـــدوديتنا، ونتعـــرّف على ضعفنا حتى نُحصِّنه ونعطيه ما يكفي من العلاج للإصلاح. مرشد يُعلِّمنا التوبة أي الرجوع عن الخطأ بعد الإقرار به. مرشد يُعلّمنا اللّجوء إلى كـــلِّ مرجع يمكنه تقديم العون إلينا في هذه الحالات. هكذا نصل إلى التغلّب علـــى الفشل ونتعلّم منه حتى نطوّر أداءنا وننمّي مسيرتنا.

إذا أردنا إستعراض المآسي والمعاناة تطول بنا اللائحة إلى ما لا نهايـــة من تفاصيل وأخبار. نكتفي إلى هذا الحدّ من سرد الأمور لننتقل إلى طـــرح أبواب تفتح أمامنا مجالات الفرح، الخلاص والسعادة.

أفراح الزواج

أنْ نَتحدّثْ عن مشاكل وأشواك أمر سهل وأمر عادي، ولكن التوقف عند هذا الحدّ دون سواه هو دليل تقهقر وإستسلام. إنّه لمن الطـــبيعي أن نـــواجه مشاكل، ولكنّه أمر غير سليم أن نبقى عندها. المطلوب التحرّك والسعي إلى الخروج. نعرض هنا بعض مفاتيح للخروج، تُشكِّل بمجملهـــا مســـيرة نمـــو وعمل ذاتي وقناعة عميقة تدفعنا نحو الأمام. نذكر هذه المفاتيح على ســـبيل المثال وليس حصراً، حتى ننطلق منها في مسيرة النهوض والإقدام.

1- اللّجوء إلى نبع الحلول أي الصلاة:

صلاة العائلة صخرة عليها تَتحطَّم أمواج الصعاب والأزمـــات. ونريـــد بالصلاة هنا كلُّ ما يمتّ بِصِلة إلى العلاقة مع الربِّ. منها صلاة الشركة، أي صلاة العائلة بعضها مع بعض من خلال قراءة الإنجيـــل وتلاوة المســـبحة والإجتماع حول الكلمة الإلهية وتبادل الخـــبرات. ومنهـــا أيضـــاً الصـــلاة

الليتورجية التي تُشركنا بعمليّة الخلاص الإلهيّ من خلال الأسرار وبالأخصّ سرّي التوبة والقربان المُقدَّس. وتُشكِّل الصلاة بذاتها حصناً حصيناً للعائلة وللأزواج، لأنّها تفتح الباب للنعمة التي تفعل في النفوس وتزرع الخير والبركة.

2- اللّجوء إلى نبع المعاني:

عندما يفقد الإنسان المعنى، يفقد شهيَّة الحياة. وما يُعيد إليه المعنى هو التأمّل بكلمة الله. ونقصد بالكلمة هنا، كلمة الله المقروءة في الإنجيل، والمسموعة في المشاركة بالنشاطات الكنسية. كلمة الله تصل إلينا عبر قنوات مُتعدِّدة: الوعظ والكرازة، الإذاعة، التلفزيون، مطالعة كتب دينية، مجلات، نشرات...، اللقاءات الخاصّة بالعائلات وغيرها، الرياضات الروحيّة، المرافقة الروحيّة والإرشاد، شهادات الحياة...

3- اللّجوء إلى مُرافِق:

إنّه المُرشد الروحي، صاحب الخبرة الروحيّة والصلة الخاصّة مع الروح القدس، يساعدنا على قراءة علامات كثيرة يصعب علينا عادة فهمها. إنّها إشارات من الربِّ. يرسلها ليُعلِّمنا ويقود خُطانا نحو الأفضل. هذا المُرافِق يمشي مع الأشخاص الطريق ويكون دوره: الإصغاء، التوجيه، المراقبة عن بُعدٍ. بالمختصر، إنّه الدليل إلى إرادة الله. نلجأ إليه عند الصعوبة حتماً، ولكن نستشيره في الأوقات الهنيئة حتى يُساعدنا على تركيز مسيرتنا وبلورتها على ضوء الإيمان وعلى ضوء تعاليم الكنيسة. ويمكن إختيار المرافقين من الأصدقاء أصحاب الثقة والصلاح، يساعدوننا في التفكير

والحوار حول أمور العائلة والزواج.

4- اللّجوء إلى الجماعة:

للرعيَّة أو لجماعة الكنسية دور كبير وسند أساسي في حياة الأزواج والعائلة. تساعد الأشخاص عن طريق التنشئة ومن خلال المرافقة في الصلاة والتّوعية بواسطة النشاطات الرسولية والمُنظَّمات المُختصَّة بشؤون العائلة. لقد نمت مؤخَّراً في الرعايا والإيبارشيات لجان مُختصَّة بالعائلة وَفُرَق راعوية تهتمّ بشؤون الأزواج وتحضير الشباب وتهيئتهم إلى الزواج. كلُّ هذا يدلّ على إهتمام الجماعة أي الكنيسة، بشؤون أبنائها المُتزوِّجين والذين يودّون الإقدام إلى الزواج. كلّ هذا يُشكِّل سنداً قوياً يساعد على تذليل عقبات مُتعدِّدة والنهوض بالعائلة. لا ننسى أنَّ العائلة هي خليّة من خلايا الكنيسة. تشرب منها غذاءها حتى تنمو وتسير بشكلٍ سليم وصحيح وتتنفّس من نَفَسِها.

5- اللّجوء إلى التعقّل والتفاهم والكلام البنّاء:

هنا يبرز دور الأشخاص المَعنيّين أنفسهم في إستخدام المنطق وليس العصبيّة. فالعصبيّة لا تؤدّي إلاّ إلى الشجار والتصارع وشدّ الحبال كلّ إلى صوبه ليكسب المعركة عن طريق تحطيم الآخر، وبالتالي يخرج الجميع خسرانين. أمّا المنطق فإنّه يُساعد على البحث الجيّد في الشجون لبلورة الصعاب وأسبابها وتذليلها بهدوء، لأنَّ الهدف ليس إبراز الحقّ من جهة ما، إنّما إحلال الحقّ أمام الجميع للسير به. لا ننسى أنَّ ما يجمع العائلة أقوى وأعمق بكثير ممّا يُفرِّقها. أنّ ما يشركها يجب أن يكون أكثر ممّا يُفكِّكها.

أسئلة للتأمّل:

1- كيف يكون الصليب أداة فرح، وبالأخصّ إذا كان هـــذا الصـــليب مُلازِماً لنا على المدى البعيد؟

2- هل الصليب في العائلة، حمل لا بدّ منه؟ كيف نتعاون في حمله؟

العائلة وسرُّ الافخارستيا

لنطرح هذا السؤال الذي يدور حول أهمية الافخاستيا في الحياة الزوجية والعائلية: هل من رباط بين الزواج المسيحي، العائلة المسيحية وسرّ الافخارستيا؟

من الطبيعي أن نقول بأنَّ هذا السؤال يتشعّب ليطال أهميّة الإفخارستيا بالنسبة للعهد الزوجي كما ولتجدّد الحبّ الزوجي، لوحدة الزوجين والعائلة، كما ولنوعيّة الحياة العائلية بين أفراد العائلة المسيحية نفسها، لثبات العائلة كما ولدعوتها الرسوليّة. عليه لتوضيح كلّ ذلك، سوف نتكلم هنا عن النقاط الأساسية التالية:

1- تَجذُّر العهد الزواجي في الإفخارستيا.
2- العائلة ككنيسة مُصغَّرة والإفخارستيا.
3- راحة يوم الربِّ والمشاركة في عملِ الله الخالق.
4- الدعوة إلى وليمة العرس.

هل من رباط بين الزواج، العائلة والإفخارستيا؟

لكي يكون بمقدورنا أن نجيب على هذا السؤال ونفهم ونُقدِّر عمق إرتباط الزواج والعائلة بالإفخارستيا، لا بدّ أن نُذكِّر بما هو الزواج المسيحي والعائلة بحسب تدبير الله الخلاصي. فحين نتكلّم عن الزواج والعائلة نتكلّم دون شكّ عن دعوة خاصة من الله للإنسان – الذي سبق فأجاب على دعوته ليكون من

خاصّته، فاختار بالإيمان أن يكون الله الكلّ في الكلِّ في حياته (الخيار الأساسي)– ليُجسِّد خياره الأساسي ضمن خيار حياة يتناغم مع معطيات كيانه الداخلي ويسمح له بتحقيق دعوته الأساسية للحبِّ والقداسة عن طريق الشركة في حياة الله بالذات، ليس لوحده بل بالتعاون مع شخصٍ آخر، شخص أخر فريد، يرتبط به بالعهد الزواجي ضمن شركة حبّ وحياة خاصّة ودائمة.

وحين نتكلّم عن الإفخارستيا نتكلّم عن إحتفال مُقدَّس، هو رمز للعهد الجديد الذي ختمه الربُّ بتقدمة ذاته على الصليب حبّاً وفداءً لنا وتجسيداً له؛ نتكلّم عن هذا العهد الأبدي الذي خطب به الربّ البشرية ونقّاها وطهّرها وزفّها إليه عروساً لا شائبة فيها ولا غضن، ليفتديها ويُشركها في حياته وتُحقِّق دعوتَها للقداسة. وهذا ما يجعل من الإفخارستيا ينبوعاً للحبّ الإلهي وللقداسة بالنسبة للمؤمن المسيحي.

فإذا كان الزواج هو دعوة للحبِّ والقداسة، فهل يمكن للإنسان أن يُحقّق هذه الدعوة دون نِعَم الإفخارستيا؟ وهل للنهر أو الساقية القدرة على الاستمرار بدون الرباط بالنبع؟ هكذا إذن بإمكاننا القول، هل يمكن لشركة الزواج والعائلة أن تستمر دون أن ترتوي من معين الإفخارستيا؟

أصالة العهد الزواجي في الإفخارستيا:

في الحضور الإفخارستي للربِّ، يتجلّى جليّاً سرّ أمانة الله التي لا تسبر لتدبيره وعمله الخلاصي، كما ولسرّ أمانة المسيح، إذا كان في إلتزامه بفدائنا، وإن كان في وعده بأن يبقى معنا إلى منتهى الدهر (متى 28/20).

من جهتها، تُعبِّر الكنيسة العروس عن أمانتها لعروسها، الذي يبذل جسده من أجلها، بأن تبقى عبر الزمن، بمعونة الروح القدس، أمينة على الاحتفال بالإفخارستيا كذكرى لفصح الربِّ حتى مجيئه، إحتفالاً يسمح لها بالدخول في هذا الفصح وتحقيق وحدتها بالله وببعضها البعض.

في قبولها لسرِّ الزواج، يرضى العروسان المسيحيّان الدخول في عهد الحبّ والأمانة، هذا العهد الذي يربط المسيح بالكنيسة، إيماناً منها بفيض النِعَم التي ينالانها لتنقية وتطهير وتقديس حبّهما ليصير قادراً على أن يكون على مثال حبّ المسيح والكنيسة. وبالتالي في هذا الاشتراك تصبح دعوتهما الحقيقيّة أن يكونا أيقونة حيّة لهذا الحبّ، بحيث يَتحقّق فيها هذا الحبّ ويشعّ إلى الخارج.

فإذا كانت الإفخارستيا كما قلنا سابقاً هي المكان الذي يَتحقّق فيه هذا الحبّ والأمانة اللّذان يربطان المسيح والكنيسة، فهل يمكن للحبِّ الزوجي المسيحي أن يَتحقَّق بحسب دعوته دون الشركة في هذا الحبّ والأمانة؟ ألا يُعطي الإشتراك الفعلي في وليمة القداس لهذين الزوجين المسيحيّين أن يَتَّحدا بحبِّ المسيح والكنيسة ويُغَذِّيا حبّهما بكلِّ ما يعمر به هذا الحبّ من قوّة وحياة وتنقية وتطهير وتقديس؟ يقول الربُّ: ''وكما أنّ الغصن لا يُثمر من ذاته إلاّ إذا كان في الكرمة، فكذلك أنتم: لا تُثمرون إلاّ إذا ثبتّم فيَّ. أنا الكرمة وأنتم الأغصان، من يثبت فيَّ وأنا فيه يُثمر كثيراً. أمّا بدوني فلا تقدرون على شيء (يوحنا 15/3-5).

كيف يمكن للزوجين أن يحيا بحياة المسيح إن لم يثبتا فيه؟ وكيف لهما أن يثبتا إن لم يبقيا كالغصن مُتَّحدان بالكرمة ليأخذا منها حياة المسيح بالذات؟ لهذا يقول البابا يوحنا بولس الثاني في رسالته التي تحمل العنوان: ''في

وظائف العائلة المسيحيّة في عالم اليوم'': في ذبيحة العهد الجديد الأبدي هذه، يجد الأزواج المسيحيّون الأصل الذي يتفرّع منه عهدهم الزواجي ويتكيّف به باطنيّاً ويحيا باستمرار (العدد/57).

العائلة المسيحية ككنيسة مصغّرة والإفخارستيا:

الزوجان المسيحيّان، بأمانة لدعوتهما المسيحيّة، هما مدعوّان منذ بداية زواجهما لتأسيس جماعة إيمان حقيقيّة، جماعة حياة أسرارية ورسولية، جماعة مشاركة روحيّة تتخطّى كلُّ الأبعاد الأخرى للحياة اليوميّة، ليعطيا بعضهما الإمكانية والعادة على المشاركة دون تَردُّد ودون مرارة، وعلى التعاون المشترك بحبٍّ واحدٍ لله. هذا ما تُسمّيه الكنيسة بالدعوة لتأسيس كنيسة بيتيّة، أي جماعة حاضر الله فيها وهي مُتَّحدة به، منه تعيش وبه تستمرّ وله تشهد.

إنَّ تحقيق هذه الدعوة، يعطي جميع أفراد العائلة أن يجدوا معنى وجودهم وسبب نموّهم بالإنسانية الحقّة، ومصدر فرحهم وسعادتهم الحقّ، وأساس وحدتهم وقوّة إستمرارية شركتهم. لهذا فإنَّ حقائق الحياة الزوجية نفسها هي التي تُذكِّرهم دائماً أنَّ هذه الوحدة الكاملة لا يمكن أن تَتحقّق على مستوى سطحي، أي على مستوى المال واللّباس والأكل... بل على مستوى أعمق بكثير.

لذلك، في إشتراك الزوجان والأولاد في سرّ الإفخارستيا، الذي هوَ سرّ وحدة الكنيسة بالمسيح، أي سرّ إتّحاد أعضاء الجسد الواحد بالرأس الذي هوَ المسيح، يشتركوا جميعاً في شركة الحبِّ التي تُوحِّد المسيح والكنيسة، فتتحقّق وحدتهم بشكلٍ فريد ومُميَّز. وتتجلّى هذه الوحدة على صعيدين: الحياة العمليّة ووحدة المصير. فعلى صعيد الحياة العمليّة، بسبب التحوّل الذي تُحقّقه

المناولة في مَن يتناول جسد المسيح. إذ يتحوّل الإنسان للمسيح وليس العكس، فإن أفراد العائلة المشتركين بهذا الجسد يتّحدون بتحوّل كلٍّ كيانهم بالمسيح، الذي يصبح هو لا فقط الحاضر معهم بل الحيّ فيهم. وهذا يعني عمليّاً بأن تصبح وحدتهم في وحدة فكرهم وعاطفتهم وضميرهم ومسلكيتهم بفكر وعاطفة وضمير ومسلكية المسيح.

أمّا من ناحية المصير، فرباطهم بجسد المسيح يُكرِّس تمايزهم وحاجاتهم لبعضهم البعض وللآخرين، إذ يُثبِّتون ما نالوه بالمعموديّة، الإتّحاد بباقي الأعضاء والعمل على إستثمار المواهب والعطايا لأجل نموّ الجسد الواحد. فكلُّ عضو يعمل لخير الجسد كلّه، وكلُّ ما يُصيب عضواً يصيب العضو الآخر.

وبما أنّ الإفخارستيا لا تنتهي عند نهاية الإحتفال الليتورجي بل تمتدّ لتشمل حياة الإنسان في دقائقها اليوميّة، فتنعكس على حياته محبّة للآخرين وتضامناً معهم من أجل تحقيق عالم أكثر عدل وأخوّة وإنسانية. فالجماعة العائلية بوصفها الخليّة الأولى للمجتمع تستطيع بذلك أن تستمدَّ من المسيح ما يُمكِّنها لتحقيق هذه الدعوة فعليّاً.

في هذا المجال يضيف البابا يوحنا بولس الثاني في إرشاده الرسولي الآنف الذكر قائلاً: ''في المحبّة النابعة من الإفخارستيا تجد العائلة المسيحيّة أساسها وما يشبه روح ''إتّحادها'' و ''رسالتها'': فخبز الإفخارستيا يجعل من مختلف أعضاء الجماعة العائلية جسداً واحداً تَتجلّى فيه وحدة الكنيسة والاشتراك الأوسع فيها. ويصبح بالتالي تناول الجسد المُسلَّم والدمّ المهراق ينبوعاً لا ينضب لنشاط العيلة المسيحيّة الإرسالي والرسولي'' (العدد/57).

راحة يوم الربّ والمشاركة في عمل الله الخالق:

بالعودة إلى مشروع الله الخلاصي في الخلق. نجد الربَّ يستريح في اليوم السابع من عمله، ويبارك ويُقدِّس هذا اليوم ويأمر بأن يكون مُقدَّساً للربِّ.

فالعائلة التي تعمل بكلِّ أفرادها، أعمالاً مختلفة، هي تشارك بطريقـــة أو بأخرى في عمل الله الخالق. فإن تابع أفرادها العمل طوال الأسبوع، وتنكّروا لأمانتهم في حفظِ يوم الربِّ، فقد يصبح عملها خلقاً منفصلاً عن الله، ويقودهم في خطر تأليه الذات كمصدر للقوت والحياة.

في حين، العائلة التي تَتشبَّه بالله، تتوقّف عن عملها الذي تعمله كخالقة، وفي هذا تُحقِّق أولى أبعاد دعوتها، ألا وهي أن تكون على صورة الله، وتأتي لترتاح في الله، ستجد راحتها الحقيقيّة فيه وهذه الراحة هي أكثر من راحـــة من العمل، هي راحة إلهيّة حقيقيّة، يأخذ فيها الله بابنه يسوع على عاتقه مـــا عملته هذه العائلة طوال الاسبوع، فيُحرِّر أفرادها من نتائج كلِّ عمل ســـيّء، ويبارك ويُقدِّس ثمر كلِّ عملٍ حسن، فينطلق أفرادهـــا أحـــراراً ومبـــاركين، قادرين بالنعمة التي نالوها أن يعملوا عملاً يبنيهم ويبني العالم ويمجّد الله.

الدعوة إلى وليمة العرس:

بالعودة إلى مثل وليمة عرس إبـــن الملـــك (لوقـــا 14/15-24؛ مـــتى 22/1-14)، لا بدَّ أن نجد بُعداً آخراً مُهمّاً لتلبية هذه الدعوة من قبل أفـــراد العائلة المسيحيّة. إن دُعِيَ أفراد العائلة المسيحيّة إلى وليمة عرس إبن الملك صاروا من المدعوّين، ولكن ليس من المختارين. والأمر ليس مُتعلِّـــق فقـــط بعدم قبول الدعوة وتلبيتها بل أيضاً في كيفيّة تلبيتها.

لنتّفق على هذا، إذا كانت المشاركة في هـذه الوليمـة هـي الوسـيلة المعروضة على العائلة من الآب الملك لتشارك في عـرس إبنـه وتصـبح شريكته في الحبِّ الذي يربطه بالكنيسة، فهل يمكن لأفرادها أن يبتدعوا طرق أخرى لتحقيق هذه الشركة؟. فما معنى كلّ الإدّعاءات التي نطلقهـا، لنـبرّر أنفسنا لعدم تلبيتنا الدعوة والمجيء إلى الوليمة، مؤكّدين بأنّه يمكننا اللّقاء بالله والدخول بشركة معه بعيداً عن هذه الوليمة. أنحن، أأنا مَن يفـرض طرقـه ومشاريعه على الله، أم أنا خادم أضع نفسي في خدمه ما يريده الله؟!.

المهمّ جداً أن نتوقّف على أعذار من كانوا يودّون المجيء ولكنّهم لسبب أو آخر إعتذروا، ولنحاول أن نفهم عنف جواب الآب الملك: ''لـن يـذوق عشائي أحدٌ من الرجال المدعوّين أولئك'' (لوقا 14/24). حجّة الأول حقله، والآخر تجارته، والأخير زواجه مع فارق مهمّ عن الأوَّلَين: أنّه لـم يعتـذر (متى 22/5 ولوقا 14/20). لعلَّ هؤلاء ظنّوا، كما يعتقد الكثيرون منّـا، أنَّ ما نملك وهوَ سبب جوهري لحياة مستقرّة ومضمونة، وأنَّ عملنا وهـو مـا نكسب به قوّتنا ويُشكِّل باب رزقنا، وأنّ عائلتنا، وهي ما يعطي معنى لجهادنا وتعبنا وشقانا وحياتنا وفيها ملاذنا الإنساني، يمكن أن تكون أسباب جوهريـة تُعذِرنا عن تلبيه الدعوة والمجيء إلى الوليمة. والحال، كما رأينا في جـواب الآب الملك، لا مكان لهؤلاء من بعد على مائدته. فما هي حال مَن لأعـذارٍ اقلّ بكثير من هذه يرفض المجيء؟.

لا نَتعجَّب من ذلك، فالآب الملك لا يريد القلب المُنقَسِم، بل القلب الـذي يُحبُّه فوق كلِّ شيء، ويُحبُّه بكلِّ ما فيه من قوّة وحياة ونفس. هذا لأنّه يريـد أن يملك على هذا القلب ليُملِّكه على كلِّ ما لديه. وليس من سبيل لذلك ما دام للشرِّ والخطيئة وروح العالم مرتع فيه. فالشوك سيخنق حتماً كلَّ ما يزرعـه

الآب الملك في هذا القلب. لي أنا المسيحي الدعوة مفتوحة، فما عساه سيكون جوابي؟.

دور العائلة المسيحية في الكنيسة

إنّ الزواج المسيحي والعائلة المسيحية يبنيان الكنيسة: لأنّ الشخص البشري لا يولد في العائلة ويندمج شيئاً فشيئاً، بفضل التربية، في العائلة البشرية وحسب، بل يندمج بفضل الميلاد الجديد، من خلال سرّ المعمودية المُقدَّس والتنشئة على الإيمان، في عائلة الله الكبيرة التي هي الكنيسة. والعائلة البشرية التي فكّكتها الخطيئة، يُعيد بناء وحدتها ما لموت المسيح وقيامته من قوّة فداء.

والزواج المسيحي الذي يشترك في ما لهذا الحدث من فعالية خلاصية، يُشكِّل المكان الطبيعي الذي فيه يتمّ إندماج الشخص البشري في عائلة الكنيسة الكبرى. وتدرك الوصية المعطاة، منذ البدء، للرجل والمرأة بالنموّ والتكاثر، بهذه الطريقة، حقيقتها الكاملة وتتحقّق على أكمل وجه. وهكذا تجد الكنيسة في العائلة المولودة من السرِّ مهدها والمكان الذي باستطاعتها فيه الاندماج في الأجيال البشرية، وبدورها باستطاعة هذه الأجيال الاندماج في الكنيسة.

العائلة المسيحية في سرِّ الزواج:

حين نقول عن الكنيسة إنَّها جماعة المؤمنين بالمسيح وبتعليمه ورسالته، هذا يعني إنَّها تَتشكَّل من جماعات صغيرة، هي العائلات المسيحية التي من خلالها يتواصل ويستمر التبشير بالمسيح.

والعائلة المسيحية الصغيرة يرتبط وجودها بالكنيسة ''العائلة الكبيرة'' التي هي أمّ روحية تَلِد العائلة الجديدة، الصغيرة، وتتعهَّد بالعناية بها، وَتُغذّيها بكلمة الله وبالأسرار، وترافق مسيرتها حتى لحظة الموت والرحيل من هذا العالم، والإنطلاق إلى بيت الآب السماوي.

بفضل هذا الفيض من النِعَم الالهية المُتدَفِق من قلب الكنيسة، أمّ العائلات كلِّها، النابض بحياة الله، تصبح العائلة شيئاً فشيئاً، إذا ما إنقادت فعلاً لعمل الروح القدس، جماعة مُخلَّصة، تنهل من ينابيع الخلاص ما تحتاجه في مسيرتها، بغية أن تتحوَّل مع الوقت، وبقوّة الروح عينه، إلى جماعة مُخلِّصة، تشارك في نبوّة المسيح وكهنوته وملوكيته.

وهذا ما عبَّر عنه فعلاً قداسة البابا يوحنا بولس/2 في إرشاده الرسولي ''في وظائف العائلة المسيحية في عالم اليوم'' حيث يقول: ''إنَّ من أهمّ وظائف العائلة المسيحية، وظيفتها الكنسية، أعني تلك التي تضعها في خدمة بناء ملكوت الله، على مرّ العصور، بمشاركتها في حياة الكنيسة ورسالتها. ولكي نُحسِن فهم أساس هذه المشاركة وماهيتها وخصائصها، لا بدّ من التَعمُّق في بحث ما يشدّ الكنيسة إلى العائلة المسيحية من روابط عديدة حميمة تجعل من العائلة شبه ''كنيسة مُصغَّرة'' (كنيسة بيتية)، بحيث تكون هذه العائلة بدورها صورة حيَّة وتجسيداً في الزمن لسرّ الكنيسة'' (العدد/49). ويضيف قداسته قائلاً: ''على العائلة المسيحية أن تقوم بدورٍ واعٍ وفعّال في رسالة الكنيسة، وبطريقة خاصة فريدة، في حياتها وعملها، بوصفها جماعة حياة ومحبَّة متماسكة'' (العدد/50).

العائلة المسيحية جماعة إيمان:

تبدأ مسيرة العائلة يوم تسمع كلمة الله من فمّ الكنيسة، ومثل الكنيسة تصغي اليها والربّ يدعوها إلى أن تدخل في سرّ الخلاص ''أمّا مريم فكانت تحفظ كلّ ذلك في قلبها وتتأمّل به'' (لوقا 2/19). وما الإيمان سوى هذا الوعي لتصميم الله الخلاصي وللعائلة بالذات، والخضوع البنوي لمشيئته القدوسة. عليه يُطلَب من الأزواج والوالدين المسيحيين ''طاعة الإيمان'' (لوقا 8/21). فهم مدعوون إلى قبول كلمة الربِّ التي تكشف لهم جدّة عجيبة –الخبر المفرح– أيّ جدّة حياتهم الزوجية والعائلية التي جعلها الربُّ يسوع مقدَّسة ومقدِّسة. غير أنّه بالإيمان فقط يمكنهم أن يكتشفوا بنفس طيّبة وفرح وإعجاب، المقام السامي الذي رفع الله إليه الزواج والعائلة، فجعلهما علامة ومُلتقى لعهد المحبَّة بين الله والناس، وبين يسوع المسيح وعروسته الكنيسة.

العائلة مدرسة إيمان:

أن تؤمن العائلة، فهذا يعني عملياً:

* إنّها إكتشفت معنى وجودها، وكيف أنّها وُهبت، مثل كلّ البشر، نعمة الحياة بفضل محبّة الله المجانية.

* إنّها إذاً، بعيداً عن كلِّ فلسفة مبنية على الصدفة أو على المادية المُلحِدَة، تنعم برعاية الله في كافة مراحل حياتها، قبل الزواج وبعده.

* إنَّ لقاء الخطيبين نفسه على دروب الحياة، وفي مرحلة الاستعداد للزواج، يدخل في إطار مسيرة إيمان. وهو يجعل الطرفين يكتشفان من جديد وعود عمادهما، ويُجدِّدان في نفسيهما هذه الوعود، ويلتزمان عن وعي طريق المسيح في حالة الزواج.

* إنَّ تبادل العهد بين الزوجين عند الاحتفال بالزواج في الكنيسة وأمام الربّ، إعلان إيمان في الكنيسة ومع الكنيسة بتصميم الله للعائلة وإستعداد للطاعة.

وبقدر ما تكون إنطلاقة الحياة الزوجية على هذا المستوى من الوعي لسرِّ حضور الله وعمله في حياة العائلة، تصبح الحياة الزوجية كلَّها مسيرة إيمان، يمكن للعائلة من خلالها أن ترى كلَّ شيء وأن تقرأ الاحداث على ضوء هذا الاختبار الايماني، فتتحوَّل شيئاً فشيئاً الى مدرسة إيمان ينشأ فيها الاولاد، ونور الربِّ يلوح باستمرار في أفق حياتهما، أقوى من كلِّ غيوم الحياة وأعاصيرها.

العائلة مدرسة حياة:

الايمان الحقيقي لا بدّ له، لكي ينمو ويدوم، من أن يُترجَم بالأعمال، وتكون هذه الأعمال برهاناً حسّياً على مصداقية التعليم، العقيدة التي يقوم عليها من جهة، وعلى أنّه قابل للعيش والتطبيق من جهة أخرى. ويمكن أن نُلخِّص رسالة العائلة، المطلوب منها أن تكون مدرسة حياة، بما يلي:

* أن تكون فعلاً شركة أشخاص، لكلٍّ منهم مكانته وإحترامه فيها، ودوره في بنائها، أباً كان أم أمّاً، إبناً أو بنتاً، طفلاً كان أم شاباً، كهلاً أم عجوزاً ، متعافياً أم مريضاً، صحيح البنية أم معافاً.

* أن تصبح العائلة على مثال الكنيسة، أمّا ومُعلِّمة، تُربّي أبناءها على القيم السامية، على روح الصدق والغفران، على روح الخدمة بفرح، على القيام بالواجب بتفانٍ وإخلاص، وعلى المشاركة الواعية في سرِّ الصليب، من

خلال الصعوبات التي تواجهها في تربية الأولاد، وكلّ إختبارات الألم وحتى الموت، التي تتعرَّض العائلة في مسيرتها. وتُعرِّف لأبنائها كيف يجابهون كلَّ ذلك بروح الإيمان الواثق والرجاء المستنير بنور القيامة.

الروح القدس والعائلة:

إنَّ الروح القدس يعمل بأعضاء الكنيسة لتقديسهم، بالعائلة ومن خلال العائلة، فيقود المؤمنين إلى الطريق والحقِّ والحياة، باتّباع تعاليم الكنيسة فيما يَتعلَّق بالإيمان والأخلاق من خلال الطاعة للسلطة الكنسية التي تَتمثَّل بالأساقفة والحبر الروماني.

العائلة وسرّ التوبة والمصالحة:

الله خلق كلّ شيء حسن، ولكن عندما خلق الإنسان قال إنَّه حسنُ جداً، ولكن بسقوطه بفخ الشيطان، الذي إستعمل إرادة وحريَّة الانسان، ليوقعه بالخطيئة ويقوده إلى الموت ليخسر النعمة والحياة الأبدية. وبما أنَّ الانسان محدود وضعيف، فلا يقدر أن يخلص نفسه بنفسه، لذا فهو بحاجة إلى مُخلِّص ليُخلِّصه من التجارب اليومية، وهذا المُخلِّص هو المسيحِ يسوع. من بعد سرّ المعمودية الذي يغسلنا الخطيئة تبقى الرواسب، التي سمّاها أباء الكنيسة بالشهوات، وهي التي تدفعنا من جديد إلى السقوط بالخطيئة. والإنسان يعاني من الشهوات كلّ أيام حياته، ولكن الله يقدر دائماً أن يغفر لنا بسرِّ التوبة.

إنّ قبول الدعوة الانجيلية إلى التوبة، المُوجَّهة إلى جميع المسيحيين الذين لا يكونون دائماً أمناء ''لجدّة'' وعود عمادهم الذي أصبحوا فيه قدّيسين، إنَّما هو جزء مهمّ، لا غنى عنه، من وظيفة التقديس. ولا تنسجم

العائلة المسيحية دائماً وما للنعمة وقداسة المعمودية من شريعة مُعلَن عنهـــا مُجدَّداً في سرّ الزواج.

وإنّ الندامة والمغفرة المتبادلة اللّتين غالباً ما تُمارَسان في الحياة اليومية، تجدان في العائلة المسيحية زمنهما الأسراري الخاصّ في التوبة المســيحية. ويكتسب الاحتفال بهذا السرّ قوة خاصّة بالنسبة إلى الحياة العائليــة. ففيمــا يدرك الأزواج وجميع أعضاء العائلات بالإيمان، كيف أنّ الخطيئة تضــاد لا العهد المُبرَم مع الله وحسب، بل أيضاً عهد الأزواج وإتّحاد العائلــة، فــإنّهم ينقادون إلى ملاقاة الله ''الغني بالمراحم'' الذي، بإفاضته حبّه الأقــوى مــن الخطيئة، يعيد بناء العهد الزوجي والإتّحاد العائلي ويكمّلهما.

العائلة وإحترام قدسيّة الحياة:

نقل الحياة، ومع الحياة ''نقل الصورة الالهية من إنســان إلــى إنســان بواسطة الإنجاب'' مسؤولية كبيرة ودقيقة، تقتضي مــن العائلــة المســيحية الرجوع الدائم إلى تعاليم الكنيسة وتوجيهاتها، خاصةً وأنَّ الكنيسة تُحظِّر من إستعمال أيّ وسائل غير طبيعية لمنع الحمــل، ومــن أيّ مســاس بكرامــة الشخص البشري منذ لحظة الحمل به، كما ترفض رفضاً قاطعاً أيّ تلاعــب بعطية الحياة باسم التطوّر العلمي والأبحاث الناشطة في هذا المجــال. وأيــة محاولة لقتل الأجنة البشرية قبل ولادتها. فالحياة البشرية هي بالواقع في نظر الكنيسة مُقدَّسة، لأنَّها، منذ بدايتها، تحقيق لعمل الله الخالق، وتبقى أبــداً فــي علاقة خاصّة معه، وهو غايتها الوحيدة. فالله وحده هو سيّد الحياة من بدايتها إلى نهايتها. وليس لأحد، في أيّ ظرف كان، أن يدعّي لذاته الحقَّ في قتــل كائن بشري قتلاً مباشراً.

في ختام حديثي هذا عن دور العائلة المسيحية في الكنيسة أوجه نـــدائي الحارّ قائلاً: من اللازم إذن، وبصورة مُلحّة، أن يلتزم كلُّ إنســـان ذي إرادة صالحة بواجب المحافظة على ما للعائلة من قيـــم ســـامية، ويعمـــل علـــى تطويرها. فمحبَّة العائلة يعني إكتشاف ما يَتهدَّدها من أخطار وشرور، بغيـــة التغلّب عليها. ومحبَّة العائلة يعني أيضاً، السعي الجـــدّي لخلـــق الظـــروف والأجواء التي تساعد على تنميتها وَتقدُّمها. وإنّه، فضلاً عن ذلك، لنوع ســـام جداً من أنواع المحبة أن تُعطى مُجدّداً عائلات اليوم المسيحية، التي غالباً ما تعصف بها رياح اليأس والقلق من جرّاء تكاثر المصاعب، من الأسباب مـــا يبعث فيها الثقة بالنفس، وبما حبّتها الطبيعة والنعمة من وسائل، وبالرســـالة التي أناطها الله إليها. أجل، من الواجب أن تعود عائلات عصرنا إلى ســـابق عهدها. من الواجب أن تسير على خُطى المسيح، نور العالم وفاديه.

الخاتمة

ليس الزواجُ سجناً أو أسراً، بل حياة شركة. فأنتَ تَتزوَّج لا لتحصل على شيءٍ بل لتعطي، ''لا تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِلآخَرِينَ أَيْضاً'' (فيلبي 2/4). فمَن يَحيا حياة الحريّة -كما يُسمّيها البعض- إنَّما يَحيا حياةُ الأخذِ والبحث عن شيءٍ يحصل عليه. أمّا مَن يَتزوَّج فهو يبحث عن شخصٍ ليُعطيه، ومُستقبلاً عن أطفال يهبهم حياته. فلا يمكن أن يعيش الإنسان سعيداً إن كان يعيش لذاته، لأنَّ السعادة الحقيقية هي في العطاء للآخرين ومشاركتهم في كافة مشاعرهم، في أفراحهم وأحزانهم.

ولعلَّ الشباب اليوم أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، يعرفون أنَّه لا توجد حريّة مُطلَقة، فمَن يظنُّ أنَّه حرّ فهو عبد للحياة التي إختارها، كما لا يوجد في الزواج أسر أو عبودية، بل هو تضحية من أجل الآخر، هو موت عن الذات من أجل أن يحيا الآخر، وهذا ما يعطي للحياة طعم ولون ويملأها غبطة وسعادة.

إنَّ الزواج المسيحي ليس مقامرة نسبة النجاح فيها 50٪ بل إنَّ مَن يَتزوَّج بحسب إرادة الربِّ وحققها في حياته الزوجية، ومَن يُسلِّم حياته وبيته للربِّ فلا بدّ أن يكون سعيداً. فإنْ فَشَلَ فلان في زواجه وفي إختياره لزوجته، فالسبب هو أنَّه عاش حياة الأنانية، وبحث فقط عن إشباع شهواته، تحقيق رغباته، وَعمّا يأخذه من الطرف الآخر، دون أن يُفكِّر في معاني التضحية، نكران الذات والعطاء.

إنَّ الحياة المسيحية والأسرة المسيحية مضمونتان فقط في يدِّ الربِّ. فإنْ لَمْ يبنِ الربُّ البيت فباطلاً يَتعبُ البنّاؤون.

محتويات الكتاب

المقدمة 5

المسحة الإلهية في الزواج المسيحي

ميزة الزواج المسيحي 7

الزواج المسيحي عودة إلى الزواج الأصيل 8

حضور مكثَّف للثالوث الأقدس في سرِّ الزواج 10

الحبُّ: دعوة ورسالة

الحبُّ الحقيقي 13

أولاً: الشخص هو موضوع الحبِّ الحقيقي 14

ثانياً: الآخر هو المركز في الحبِّ الحقيقي 15

ثالثاً: الحبُّ الحقيقي عطاء وقبول 16

رابعاً: الحبُّ إرتباط بالآخر 17

رُسُل الحبِّ 18

فترة الخطوبة

مرحلة الخطوبة 21

تحذيرات للخطيب والخطيبة 22

1- أخطبكِ لنفسي إلى الأبد 23

2- أخطبكِ لنفسي بالعدل والحقّ والإحسان والمراحم 23

3- أخطبكِ لنفسي بالأمانة 23

أهمّ أسباب فسخ الخطوبة 25
التأثير السلبي على الخطيبين 26
التأثير السلبي على العائلتين 27
نصائح للخطيبين 27

الخطوبة 29
دورات التهيئة إلى الزواج 30
كيف يتمّ إختيار الخطيب أو الخطيبة 31
روحانية الخطوبة 32
الوثائق المطلوبة من الخطيبين 34
صلاة الخطيب 34

الحبّ الزوجي
مصدر الإنسان 36
الأحلام الثلاثة 36
1- حلم الجسد 37
2- حلم العلاقة 37
3- حلم الشخص 38
أبعاد الحبِّ 38
ميِّزات الحبِّ الحقيقي 39

الزواج
1- من عقد طبيعي 40
2- إلى إشتراك في فعل الحقائق 40

3- وإلى إشتراك في الحياة الإلهية	41
''إنَّه لسرٌ عظيم''	41
الأسرار في المسيحية	42
زواج في الربِّ	43
الزوج- المسيح- الزوجة	44
متى يتمّ الإحتفال بعهد الزواج وسرِّه؟	44
مَن يمنح سرَّ الزواج؟	45
النِعَم الإلهية المرتبطة بسرِّ الزواج	45
غاية الزواج	46
صفات الزواج	46
1- وحدة الزواج	46
2- أمانة الزوجين	47
3- ثبات عهد الزواج	48
متطلَّبات السعادة الزوجية	48
1- الإشتراك في عمل التقديس	48
2- الفرح والهناء والعيش معاً	49
3- التعاون بين الزوجين	49
4- التحمُّل المتبادل	50
واجبات الزوجين المتبادلة	50
1- واجبات الرجل تجاه إمرأته	50
2- واجبات المرأة تجاه رجلها	51

الرجلُ رأسُ المرأة، كما أنَّ المسيح رأسُ الكنيسة

ضحِّ بنفسك من أجلها (أجله) 53
إهتم بخيرها (خيره) الروحي 55
أُسلك طريق الصليب أمامها (أمامه) 56
كن متواضعاً في ممارسة سلطتكَ (كِ) 57
أيها الزوج، وأيتها الزوجة 58

الزواج، إختيار للمشاركة

الزواج سرُّ الحبِّ المُقدَّس 61
نبذة تاريخية عن سِّر الزواج 61
المعاني اللاهوتية لسرِّ الزواج 62
1- الزواج حقيقة طبيعية وحضارية 62
2- الحبُّ البشري صورة لكيان ''الله محبَّة'' (1يو 4/16) 63
3- الزواج صورة حبِّ الله للإنسان 64
4- سرُّ الزواج... فصح الحبِّ 64
5- أبدية الزواج إستباق للأبدية 66

الزواج المسيحي، طريق إلى الله

سرُّ الزواج 68
أول حفلة زواج في التاريخ 69
الزواج المثالي في العهد الجديد 70
صفات حبِّ الزوجين 71
1- حبٌّ فريد وخاصّ 71

2- حبٌّ فدائي 71
3- حبٌّ مجاني 72
أهداف الزواج 72
الخلاصة 73

الزواج المسيحيّ، طريق لخلاص الأبديّ
ما هي العاطفة؟ 74
مظاهر الإعجاب 75
ما هو الحبّ؟ 75
أن تُحبَّ شريكَ حياتِكَ يعني أن تموت من أجله 76
مجانية الحبِّ 77
لا تنسى العهد 79

سرُّ الزواج، وسرُّ الثالوث الأقدس 81
الزواج الطبيعي 82
سرُّ الله 84
في تدبير الخالق 86
تصميم الله 88
ما جمعه الله 89
أنموا وأكثروا 91
هدفنا 91

سرُّ الزواج، سرُّ العطاءِ والإنفتاح

عطاءٌ حرّ	93
كلمة ''نعم'' المتبادلة	95
عطاء كلّي وغير محدود	96
إحترام الاختلافات	98
هبة نهائية ودائمة	99
عطاء خصب ومنفتح على مزيد من الحبِّ	102
الإنسان يشارك الله في عملية الخلق	104
تربية الأولاد وتنشئتهم المسيحية	107
عطاء من الربِّ	108
عطاءُ الزوجين	109
الله يعطينا لكي نعطي	110
الله يهب لنا ذاته في فعل تقدمة ذواتنا	111
الله يرافقنا في هبة ذاته المستمرة إلى كنيسته	112
سمفونية الأسرار	114
الزواج والمعمودية	114
الزواج والمغفرة	115
الزواج والإفخارستيا	117
تقدمة ورسالة	118
الجنس في الزواج المسيحي	121
إختلاف وتكامل	123
عطاء بلا تحفُّظ	125
رجل واحد، إمرأة واحدة	127

الزواج، أفراح وأحزان 132
أحزان الزواج 134
1- فقدان الحوار والإصغاء 135
2- فقدان الثقة 136
3- فقدان الراحة 136
4- فقدان الإحترام 137
5- فقدان الروح والإنغماس بالمادة 138
6- تصارع الأجيال والعقليات 139
7- تضارب المصالح 140
8- جنوح الطبيعة 140
9- إنهيار الصحة 141
10- ضياع الإنتماء 142
11- الفشل في التربية 143

أفراح الزواج
1- اللّجوء إلى نبع الحلول أي الصلاة 144
2- اللّجوء إلى نبع المعاني 145
3- اللّجوء إلى مُرافق 145
4- اللّجوء إلى الجماعة 146
5- اللّجوء إلى التعقّل والتفاهم والكلام البنّاء 146
6- أسئلة للتأمّل 147
العائلة والافخارستيا

هل من رباط بين الزواج، العائلة والافخارستيا؟ 148
أصالة العهد الزواجي في الافخارستيا 149
العائلة المسيحية ككنيسة مُصغَّرة والافخارستيا 151
راحة يوم الربِّ والمشاركة في عمل الله الخالق 152
الدعوة إلى وليمة العرس 153

دور العائلة المسيحية في الكنيسة

العائلة المسيحية في سرِّ الزواج 155
العائلة المسيحية جماعة إيمان 156
العائلة مدرسة إيمان 157
العائلة مدرسة حياة 158
الروح القدس والعائلة 159
العائلة وسرّ التوبة والمصالحة 159
العائلة وإحترام قدسيَّة الحياة 160
الخاتمة 162